جلاء البصائر
في الرد على
كتابي شفاء الفؤاد و
الذخائر

كتبه/ سمير بن خليل المالكي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون [الأنعام: 1].

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين.إنما هو إله واحد فإياي فارهبون.وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً.أفغير الله تتقون.وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون.ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون.ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون [النحل: 51-55].

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم.فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون]البقرة: 21-22].

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون.لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون.لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون.أم اتخذوا من دونه آلهة، قل هاتوا برهانكم.هذا ذكر من معي وذكر من قبلي، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون.وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: 21- 25].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مقر بربوبيته، شاهد بوحدانيته، مذعن له بطاعته، معترف بنعمته، فار إليه من ذنبه وخطيئته، مؤمل لعفوه ورحمته، طامع
في مغفرته، بري إليه من حوله وقوته.

لا يبتغى سواه رباً، ولا يتخذ من دونه ولياً ولا وكيلا ً، عائذ به ملتج إليه، لا يروم عن عبوديته انتقالا ً ولا تحويلا ً.

وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً وأسمعهم لديه شفاعة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه.

رفع له ذكره، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة و الصغار على من خالف أمره.

أرسله الله على حين فترة من الرسل، والناس من الكفر والجهل و الضلال في أقبح خيبة وأسوأ حال، يعبدون الأصنام ويدعون الأ وثان ويتخذون الأنداد، وقد جمعوا إلى ذلك ألواناً من الفواحش و

المنكرات، كالقتل والزنا وشرب الخمر ونكاح المحارم ووأد البنات، وزيادة في الكفر وإمعاناً في الغي والضلال.

فقام فيهم رسول اللهr بما أوجبه الله عليه من الدعوة والتبليغ وا لإنذار خير قيام، ودعاهم إلى توحيد الله وترك الإشراك به ونبذ الآ لهة والأصنام، فأبوا عليه وعاندوه وكذبوه، ثم تمالؤا عليه فآذوه وأخرجوه، هو ومن آمن معه، وما آمن معه إلا قليل.

وظل r مشمراً في تبليغ هذا الدين لا يرده عنه راد، صادعاً بما أمره الله لا يصده عنه صاد، حتى أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت بدعوته القلوب بعد شتاتها، وعز جند الرحمن وذل حزب الشيطان وظهر نور الفرقان وقامت حجة الله على الإنس و الجان.

فلما أظهر الله دينه وأكمله، وأتم على عباده نعمته وفضله، قبض إليه عبده ورسوله، تاركاً أمته على محجة بيضاء نقية وطريقة واضحة سوية لا يزيغ عنها إلا هالك.

* وظل نور النبوة ساطعاً في القرن الأول لم تطفئه عواصف الأ هواء، ولم يلتبس بظُلَم الآراء، حتى فتح عليهم باب الفتنة بعد مقتل الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونشأت من يومها الفرقة في الأمة، وظهرت البدع والأهواء، وخرجت الفرق الضالة كالخوارج والشيعة والقدرية وأهل الإرجاء.

* ثم كثرت في القرنين الثاني والثالث وتفرعت وافترقت، وازدادت كثرة في القرون التي تلت.

* ولم تزل تنمو وتكثر وتتعدد، تحقيقاً لقضاء الله الكوني، وتصديقاً للحديث النبوي الذي أخبر فيه r أن أمته ستفترق إلى ثلا ث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.وهذه الفرقة الناجية و الطائفة المنصورة هي التي بقيت موصولة بالعهد القديم والنهج القويم، مستمسكة بحبل الله المتين متبعة صراطه المستقيم، مستضيئة بنور السنة والكتاب، مستنيرة بمنهج الأصحاب، قائمة بما أمر الله به من النصح والبيان والجهاد باليد واللسان والبنان.

ولقد سطر التاريخ حوادث متنوعة ووقائع متعددة من جهاد سلف هذه الأمة الخيرة، لدعاة البدع والأهواء مع ظهور أول بدعة في الدين، بدعة التكفير التي أسسها الخوارج، فقام الصحابة بواجب الرد والإنكار، فجادلهم حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وحاجهم، فهدى الله به جماعة منهم، وأصر الباقون

على بدعتهم فقاتلهم الصحابة في وقعة مشهورة.
* ورد علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الشيعة بدعتهم، ولما أصر غلاتهم على الكفر حرقهم بالنار ليكونوا عبرة لأولي الأبصار.
* وأنكر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على معبد الجهني رأس القدرية وتبرأ منه ومن بدعته.
* وأنكر الحسن البصري رحمه الله في عصر التابعين، على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، وهجره وأمر بعزله عن مجلسه.
* ولما ظهر الجعد بن درهم رأس علماء الكلام وأول من قال بخلق القرآن، أنكر عليه وهب بن منبه وغيره من الأئمة وحذروه.
فلما أصر على كفره ضحى به خالد بن عبدالله القسري.
* وناظر الإمام الشافعي رحمه الله بشراً المريسي رأس الجهمية في وقته، وكفره أكثر الأئمة، وألف في الرد عليه الإمام عثمان الدارمي.
* ولما صار للمعتزلة الجهمية صولة وسطوة في عهد المأمون الذي تبنى بدعتهم ودعا إليها وامتحن الناس عليها، وقف الأئمة منها موقفاً مشرفاً وعلى رأسهم إمام أهل السنة في عصره بلا منازع أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، وقد ألف فيهم كتابه المشهور "الرد على الجهمية والزنادقة".
* ولم يزل دأب أئمة السلف في الرد على أهل البدع والأهواء و التصدي للمخالفين عبر تلك القرون الطويلة، خاصة بعد حدوث النحل الخبيثة، القرامطة والباطنية والفلاسفة الملاحدة، وهذه الفرق هي أشد نكبة نكب بها الإسلام وأهله منذ أن خلق الله الخليقة إلى يومنا هذا، وقد قيض الله لها من يردها ويدحرها وينتصر للسنة وأهلها، إماماً عبقرياً من أئمة الهدى، وهو شيخ الإسلا م أحمد بن تيمية عليه رحمة الله فناظرهم وجادلهم وحاجهم وألف في الرد عليهم وكشف زيفهم وباطلهم وله في الرد على كل الفرق المخالفة والمذاهب المنحرفة، مؤلفات عديدة، فكان بحق إمام أهل السنة في عصره وحامل لواء الذب عن عقيدة السلف والدفاع عن حوزة السنة والدفع في وجه كل بدعة مضلة.
ولا تزال مصنفات ذلك الإمام الفذ ورسائله في كل فن، وخاصة في تقرير مذهب السلف والرد على المخالفين، هي المرجع الأساس لكل من جاء من بعده من علماء الأمة.

ومن أجل ذلك عاداه أصحاب تلك النحل الفاسدة واجتمعوا عليه وتكالبوا ورموه عن قوس واحدة، ولما أعجزهم في مقام الحجة و البيان والمناظرة لجأوا إلى مثل ما لجأ إليه أعداء الرسل حين تنقطع منهم الحجة ويخرسهم منطق الحق قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين .

وتفصيل الكلام على جهاد ذلك الإمام الهمام وردوده ومناظراته مع المخالفين لا تكفيه هذه الأسطر، ولا مئات الأسطر، ويكفينا الإ شارة إلى بعضها، على سبيل المثال لا الحصر:

فقد رد على غلاة المتصوفة وكفرهم، كابن عربي والحلاج وابن الفارض والعفيف التلمساني، ورد على الفلاسفة، كابن سينا و الفارابي، وعلى الأشاعرة، كالرازي والباقلاني وأبي حامد الغزالي، وغيرهم.

* وظل الجهاد ماضياً بين أهل السنة والمخالفين، يقوى تارة ويفتر أخرى، إلى أن جاء عهد قويت فيه شوكت البدع وسرت في ا لأمة سريان النار في الهشيم، وبلغ الجهل بالدين مبلغاً يندى له الجبين، فعبدت الأصنام والأشجار والأحجار، وذبح عندها القرابين، وانتهكت المحارم وظهرت الفواحش والمنكرات وغدت أمور الدين وأركانه وفرائضه لدى كثير من أبناء
المسلمين نكرة من النكرات.

فقيض الله لهذه الأمة شيخ الإسلام، الإمام المصلح الرباني، محمد بن عبدالوهاب التميمي، الذي جدد الله به الدين ونصر به الملة وأعلى به السنة وقمع به الباطل ودحر به البدعة، فطفق يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك الإشراك به، ويبث فيهم مذهب السلف، وله مصنفات في تقرير مسائل التوحيد والرد على المخالفين ، وأوذي من أجلها وامتحن حتى كتب الله له القبول في الأرض، فعمت دعوته أرجاء المعمورة، ونفع الله بها أمماً وخلائق لا يحصى عددهم إلا الخالق.

* واستمر الأمر على ذلكم المنوال، والخلاف قائم بين الطائفتين، دعاة السنة والائتلاف ودعاة البدعة والاختلاف، والحرب بينهما سجال، غير أن الحق دائماً منصور، والباطل مهزوم مدحور والله غ الب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أما بعد، وكان ممن حمل لواء البدعة في هذا الزمان، وانتصر لها، ونشرها بين الناس ودعا إليها وجادل عنها وماحل، الشيخ الدكتور

محمد بن علوي المالكي[1] - هداه الله وأصلحه - الذي أعادها جذعة وأثارها فتنة وأحياها سنة جاهلية.

ولم يقتصر الشيخ في بث بدعة ومخالفاته ونشرها من خلال تلك المجالس والمحافل التي كان يعقدها هنا وهناك، فحسب، بل ألف في ذلك جملة من المؤلفات، أكثرها، إن لم يكن كلها، نقول من كتب أسلافه من المخالفين نقلها بعُجَرها وبُجَرها، فغدت كتبه ومؤلفاته مجمع أخطاء وسوءات ومحفل أغلاط ومنكرات.

ومن أشنع كتبه ومؤلفاته الجامعة لكل بلية في الدين ومصيبة في الاعتقاد، كتابا "الذخائر المحمدية" و "شفاء الفؤاد"، فقد شحنهما وسود صحائفهما بجملة من المخالفات والدواهي العظام التي تهدم قواعد الدين وأركانه وتنقض عرى الإسلام وكيانه.

ولأن الأمر فوق ما وصفت وأكبر مما ذكرت، فسوف أذكر خلاصة موجزة لأهم ما ورد في الكتابين المذكورين وأعرض مُثلا ً مما سُطر فيهما لتستبين طريقته، وتنجلي حقيقته، فليس الخبر ك المعاينة، ثم أشرع بعدها في التعقيب والرد، مستعيناً بالله وحده مستلهماً منه التوفيق والرشد.

* * *

1- "الذخائر المحمدية"

تعريف

اسم الكتاب: "الذخائر المحمدية" القسم الأول.
حجم الكتاب: يقع في 354 صفحة من القطع المتوسط.
اسم المؤلف: "محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني" كذا كتب على الغلاف.
طبع الكتاب: بمطبعة حسان بالقاهرة سنة 1978.
موضوع الكتاب: ذكر المؤلف في مقدمته أنه مجموعة مباحث متفرقة غير مرتبة، متعلقة بشخص النبي r.
ابتدأها بذكر نسبه الشريف وولادته وطرف من سيرته وشمائله ود لائل نبوته، وجملة من خصائصه وختم الكتاب بوفاته r.
مصادر الكتاب: ذكر المؤلف مصادره في ثنايا الكتاب ومنها:
"المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" للقسطلاني المصري المتوفى سنة 923هـ، وشرحه للزرقاني المالكي المتوفى سنة 1122هـ.
ومنها: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض اليحصبي المتوفى سنة 544هـ.
و"الخصائص الكبرى" للسيوطي المتوفى سنة 911هـ.
و"الذخائر القدسية" لعبدالحميد قدسي.
قلت: ولعله اقتبس اسم الكتاب من هذا الأخير فسماه "الذخائر المحمدية".

الردود والتعقيبات

* كتب في الرد على كتاب "الذخائر" الشيخ أبوبكر الجزائري جزءاً صغيراً سماه "كمال الأمة في صلاح عقيدتها" اقتصر فيه على بعض مسائل الكتاب بأسلوب سهل لطيف.
* وتبعه الشيخ عبدالله المنيع بكتاب "حوار مع المالكي" وكشف فيه كثيراً من أخطائه وضلالاته.
* والشيخ سفر الحوالي في عدة شرائط صوتية بعنوان "الرد على الخرافيين" تناول جذور المنهج الصوفي الذي ينتمي إليه مؤلف "الذخائر" وجلى بوضوح حقيقة هذه النحلة وطرائقها من واقع ما كتبه أقطابها، ومن أشهرهم: عبدالوهاب الشعراني المتوفى سنة 973هـ في كتاب "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار" وهو المعروف

باسم "طبقات الشعراني الكبرى".
* وجاءت الردود والتعقيبات على الشيخين الجزائري، وابن منيع، ومنها:
1- "الرد المحكم المنيع" للشيخ يوسف الرفاعي رد به على الشيخ ابن منيع.
2- "التحذير من الاغترار بما جاء في كتاب الحوار" للشيخ عبدالكريم المغربي والشيخ عبدالحي العمراوي.
3- "إعلام النبيل بما في شرح الجزائري من التلبيس والتضليل" للشيخ راشد المريخي.
* فتعقبهم الشيخ الجزائري في جزء لطيف ممتع سماه "وجاءوا يركضون..مهلا ً يا دعاة الضلالة".
* * *

2- عرض وتحليل

جاء في مقدمة الكتاب ما نصه (أما بعد، فهذه مباحث لطيفة وفوائد شريفة مختلفة ومتعددة لا يجمعها باب ولا يربطها فصل ولا يتصل بعضها ببعض، وإنما يربطها شيء واحد ذلكم أنها تتعلق بحضرة المصطفى r فهذه هي النقطة الجامعة بين مباحث هذا الكتاب.
وهو ليس جهد سنة ولا سنتين، بل هي ثمرات مطالعات طويلة ونتائج مدارسة قديمة اشتغلت بجمعها وتقييدها منذ عرّفت نفسي أن طلاب العلم الشريف غذاؤهم المطالعة
بل هي روحهم وريحانهم وقرة أعينهم.
ومنها خواطر في تفسير بعض الحقائق النبوية أو تحليل ما قد يستشكله بعض الناس في هذا الباب وردت على قلبي معانيها فأثبتها خشية ضياعها.
وما كنت أود إظهار هذه المجموعة المباركة لأنني مشتغل بجمعها، ولكن أشار على من
لا تسعني مخالفته بإبراز ما يمكن إبرازه ليستفيد منه من يحب ذلك..) اهـ.
قلت: ومن هذه المقدمة يظهر لك أمران:
أحدهما يتعلق بالمؤلف، وهو اعتداده بنفسه وشأنه وتفخيمه لعلمه وقلمه، كما يظهر من كلامه، مثل قوله (منذ عرّفت نفسي..)، ف

الشيخ أكبر من أن يعرفه أحد أو يعلمه أحد
بل هو الذي عرّف نفسه بنفسه وهو الذي علمها وأدبها، فلا غرو إذاً أن يكثر الشذوذ في آرائه وأفكاره، والنكارة في أقواله وأفعاله، ولله في خلقه شئون قال إنما أوتيته على علم،
بل هي فتنة .
والثاني: متعلق بالكتاب، وهو قوله (ليس جهد سنة ولا سنتين، بل هي ثمرات مطالعات طويلة..) الخ، وهذا يعني أن ما تضمنه الكتاب من أغلاط وشناعات ليست عثرة قلم
ولا زلة بنان، وإنما هي مسائل محررة ونقول مختارة بعناية لم تسطر إلا بعد تأمل ودراسة، ومطالعة ومدارسة، وهذا يدل على تمام الرضا وكمال الموافقة لكل ما نقله وسطره، خاصة وهو يسوق تلك ا لأقوال في معرض الرد على مخالفيه، ثم أكد رضاه التام بكل ما نقله بما كاله من عبارات الإطراء والتفخيم والتبجيل والتعظيم لأ ولئك القائلين وأقوالهم.
ومن أمثلة ذلك ما جاء في صحيفة (43) تحت عنوان (حياة النبي r) قال الدكتور:(كتب في هذا البحث الإمام الحافظ الفقيه ابن حجر الهيتمي قصيدة غراء، وشرحها العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي شرحاً موجزاً ذكرنا أكثره بعد القصيدة) ثم نقل القصيدة وقال عقبها في (ص46):(شرح هذه القصيدة العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ، وقد رأيت شرحه هذا واستفدت منه هذه الفوائد الآتية).ثم ذكر الفوائد المستفادة من الشرح المذكور.
قلت: أفمن يمدح قائلا ً بمثل هذا المديح (الإمام الحافظ الفقيه) ويصف قصيدته بأنها (غراء) ألا يكون راضياً بما قال متابعاً له فيما نقل ؟
ثم وصفه لشارحها بـ (العلامة) وقوله عن الشرح :(واستفدت منه هذه الفوائد الآتية)
ألا يدل على أنه معتقد بقوله راض بحكمه موافق له في مذهبه ؟!
لقد حكم الله عز وجل في كتابه على من جالس أصحاب
المعاصي في حال فعلهم للمعصية بأنهم مثلهم إذا لم ينكروا عليهم أو يقوموا عنهم، لأن ذلك دليل على رضاهم بالمعصية وقبولهم لها كما قال تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث

غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً [النساء: 140].

قال القرطبي رحمه الله (418/5):(فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر.قال الله عز وجل إنكم إذاً مثلهم فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء.

وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية).

ثم قال القرطبي:(وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى) اهـ.

قلت: فهذا حكم من جالسهم فقط، فكيف لو وافقهم وأظهر الرضا بكلامهم واحتفى به وأثنى عليه، ثم نقله إلى الآخرين محتجاً به مجادلاً عنه منتصراً له، ثم زاد على ذلك كله بأن خلع عليه وعلى قائليه حلل التفخيم وغلائل التقديس ؟!

* ولننظر الآن ما جاء في تلك القصيدة (الغراء)!! كما زعم :

قال (ص43-45):

تواترت الأدلة والنقول فما يحصي المصنف ما يقول

بأن المصطفى حي طري هلال ليس يطرقـه أفـول

إلى أن قال:

وصوم ثم حج كل عام يجـوز عليه بل لا يستحيل

ويطهر للصلاة بماء غيب ويقضيهـا بـذا ورد الدليل

يصلي في الضريح صلاة خمس دوامـاً لا يمـل ولا يميـل

إلى أن قال:

وبقعته التي ضمته حقاً رياض من جنـان تستطيـل

كذا اللحد الذي ضم الطوايا تشـرف حين حل به النزيل

وأفضل من عرش ومن جنان عدن وفردوس بها خير جزيل

وفي القبر الشريف تراه حياً إلى كـل البقاع له وصول

ولـولا أنه حـي حـري بإدراك كما نقل الـفحول

لما سعت الشموس إليه حقاً تسلم حين تطلـع أو تزول

وما كان الحجيج إليه يسعى ويرجو أن يكـون له قبول

إلى أن قال:

ويلقاهم إذا وفـدوا عليه ويـنظرهم إذا ازدحم القفول

ثم قال:

ومن لم يعتقد هذا بطـه يقيناً فهو زنديـق جهـول

ع ُبيد هيتمي مستجـير بمن حطت بساحته الحمول

قلت: ولست بصدد التعقيب والرد على ما حوته هذه الأبيات من أغلاط شنيعة وأخطاء جسيمة، فهذا له موضع آخر ستراه إن شاء الله في هذا الكتاب.

لكن تأمل معي قول الناظم:(ومن لم يعتقد هذا بطه يقيناً فهو زنديق جهول)، فهو يؤكد ما ذكرته من أن المخالف موافق لما ينقل راض به غاية الرضا، وإلا لكان داخلا ً في جملة المحكوم عليهم بـ الجهل والزندقة (أي الكفر) !

وهو بين أمرين أحلاهما مُر، إما أن يكون معتقداً بما في تلك القصيدة (الغراء) !،

كما وصفها، موافقاً لناظمها (الإمام الحافظ الفقيه)!، كما وصفه، مقلداً له في كل

ما ذهب إليه:

* من أن النبي r يصلي في قبره الصلوات الخمس متطهراً بماء الغيب، وأنه يصوم ويحج مع المسلمين كل عام فيقف بالمشاعر ويؤدي المناسك، ثم يستقبل حجاج قبره ويتلقاهم حين يفدون إليه ، وأن قبره أفضل من الكعبة والمسجد الحرام ومن السموات والأرض وجنة عدن بل أفضل حتى من العرش الذي استوى عليه الرحمن !!

* وأن من لم يعتقد بمثل هذا الاعتقاد يقيناً من غير شك فهو في نظر هذا المؤلف: كافر زنديق خارج عن الإسلام حلال الدم والمال.

* وإما أن يكون المؤلف منكراً لما جاء في تلك الأبيات من اعتقادات باطلة، فيكون في عداد المحكوم عليهم بذلك الحكم الجائر، الكفر والجهل، وعليه فكيف يسوغ له عقلا ً وشرعاً أن يحتفي بها ويمتدحها وقائلها ويعظمها ويعظمه ؟ إلا إذا كان راضياً بذلك الحكم مغتبطاً به والعياذ بالله !

أقول: ولا شك أن الأمر الأول هو الظاهر، وإنما أوردت الاحتمال الآخر على وجه الإلزام إذ لا يعقل أبداً أن يحكي الإنسان قولا ً ويصبغه بتلك الحفاوة ويبالغ في تعظيمه وإطرائه ويجادل به

وينافح عنه إلا وهو معتقد به كل الاعتقاد راضٍ به غاية الرضا.

* مثال آخر: في صحيفة (158) ذكر تحت عنوان (فأنت باب الله) ما نصه: (للقطب الكبير سيدنا محمد بن أبي الحسن البكري المصري، وهي مجربة لقضاء الحوائج تقرأ في آخر الليل بعد ما تيسر من الصلاة، يكرر بيت: عجل بإذهاب الذي أشتكي 73 مرة) ثم ذكر القصيدة.

قلت: ومن كانت هذه عباراته في الثناء والإطراء البالغين على القائل، أيكون موافقاً له أم مخالفاً ؟ ‍‍‍!!

وقوله عن أبيات القصيدة إنها مجربة لقضاء الحوائج، ثم وصيته بتكرير بيت منها خاصة 73 مرة، دليل على رضاه بها واعتقاده وقبوله لها أم العكس؟

والجواب معلوم ببداهة العقول، ولننظر الآن ماذا قال سيده (القطب الكبير)!:

مـا أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمـة تـصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكـه ... من كـل ما يختص أو يشمل
إلا وطـه المصطـفى عبده ... نـبيـه مختـاره المـرسـل
واسطـة فيها وأصل لـها ... يعلم هذا كل من يـعـقل
فلذ بـه في كل ما تشتكي ... فـهو شفيع دائـماً يـقبل
ولـذ به في كل ما ترتجي ... فـإنـه المأمـن والمـعقـل
وحـط أحمال الرجا عنده ... فـإنه المرجـع والمـوئـل
ونـاده إن أزمـة أنشبت ... أظـفارها واستحكم المعضل
يا أكـرم الخلق على ربـه ... وخير من فيهم به يـسـأل
قد مسني الكرب وكم مرة ... فرجت كرباً بعضه يذهـل

إلى قوله:

عجل بإذهاب الذي أشتكي ... فإن توقفت فمن ذا أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى ... ولست أدري ما الذي أفعل

إلى قوله:

فـأنت باب الله أي امرئ ... أتاه من غيرك لا يدخل

* مثال آخر: في صحيفة (201) ذكر تحت عنوان (خلاصة مفيدة في الخصائص النبوية) ما نصه: (اعتنى العلماء بالخصائص النبوية وألفوا فيها كثيراً من الكتب وأشهرها "الخصائص الكبرى" للحافظ السيوطي وقد لخصه السيوطي في رسالة موجزة، ونحن نلتقط منه هذه الدرر مع التهذيب وجملة هذه الخصائص تنحصر في

ثمانية أقسام سنذكرها بعد هذه المقدمة).
قلت: فاختياره وتهذيبه لتلك الخصائص (الدرر)، على حسب وصفه لها، لا يكون
إلا مع تمام الموافقة وكمال الرضا والقبول.
ونسوق إليك أخي - القارئ - درراً من تلك الخصائص المزعومة "الذخائر المحمدية"
(ص201-228):
1- (خُصّ رسول الله r بأنه أول النبيين خلقاً).
2- (وخَلَق آدم وجميع المخلوقات لأجله).
3- (وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت).
4- (وذكر الملائكة له في كل ساعة).
5- (وبأنه سمي من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسماً).
6- (وأوتي علم كل شيء حتى الروح والخمس التي في آية إن الله عنده علم الساعة).
7- (وكان يسمع حفيف أجنحة جبريل وهو في سدرة المنتهى، ويشم رائحته إذا توجه بالوحي إليه).
8- (وسأل ربه أن لا يَدخل النارَ أحدٌ من أهل بيته فأعطاه ذلك).
9- (وإذا رغب في مزوّجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها).
10- (وأن يزوج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها، ويزوجها لنفسه).
11- (وكان يُقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها، وله أن يُقطِع أرض الجنة من باب أولى).
12- (ولا يجوز التزوج على بناته، ومنع بعض العلماء التزوج على ذرية بناته وإن سفلن إلى يوم القيامة) قال:(ووجهه ظاهر).
13- (وردت إليه الروح بعد ما قبض ثم خير بين البقاء في الدنيا والرجوع إلى الله فاختار الرجوع إليه).
ثم ختم الخصائص، التي استغرقت منه ثلاثين صفحة، بقوله:(قال الإمام الشعراني
رضي الله عنه وقد كتبت هذه الخصائص من خط سيدنا وشيخنا خاتمة الحفاظ الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله ونفعنا بعلمه والمسلمين).

* * *

2- "شفاء الفؤاد"

1- تعريف

اسم الكتاب:"شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد".
حجم الكتاب:يقع في 237 صفحة من القطع المتوسط.
اسم المؤلف: (السيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني.خادم العلم الشريف في البلد الحرام).كذا كتب على الغلاف.
طبع الكتاب: طبع على نفقة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية. الطبعة الأولى سنة 1411هـ.
موضوع الكتاب: متعلق بزيارة القبر النبوي الشريف وآداب الزيارة ومشروعية شد الرحال إليه وأحوال الزائرين ومقاماتهم، وذكر مجموعة من الأوراد والأذكار التي تقال عند القبر.
ثم ختم الكتاب بجملة من القصائد ابتدأها من صفحة 203 إلى نهاية الكتاب.
تقريظ الكتاب: قدم للكتاب وزير الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية، قرظ فيها الكتاب وأطرى مؤلفه، ومما قاله في مقدمته: (أما بعد فهذا السِفر الجليل والبحث النفيس...لمؤلفه الشريف العلامة الجليل سماحة الدكتور السيد محمد بن علوي..قد جلا فيه وجه الصواب..وأوضح سبيل الرشد بالأدلة الساطعة و البراهين القاطعة بأسلوب علمي دقيق وتوفيق رائع عميق فقضى بذلك على الشقاق والخلاف..وجمع بذلك كلمة المسلمين).
مصادر الكتاب: ذكر المؤلف مصادره في الكتاب وقد بلغ تعدادها 86 مصدراً، ومن أهم
مصادره التي اعتمد عليها في كتابه: "شفاء الأسقام في زيارة خير ا لأنام" لتقي الدين السبكي المتوفى سنة 756هـ. وقد اعتمد عليه اعتماداً كلياً، ونقل منه أكثر مباحث الكتاب حتى المقدمة والعنوان. واعتمد أيضاً على كتاب "الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم" لا بن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة 973هـ.

الردود والتعقيبات

* لا أعلم أحداً من أهل العلم صنف في الرد على الكتاب سوى الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، حيث كتب ورقات في بيان بعض الأخطاء الشنيعة التي حواها الكتاب، وله درس مسجل في

شريط صوتي ألقاه في أحد المساجد رد فيه على بعض ضلالات المؤلف وأغلاطه في مسائل الاعتقاد، وهو رد لطيف سهل مفيد.
* وتعقب الشيخ سفر، أحد تلامذة الدكتور العلوي في شريط صوتي، لكنه لم يذكر اسمه
ولا نسبه وإلى هذه اللحظة هو مجهول الاسم والحال والصفة.

2- عرض وتحليل

قال المؤلف في مقدمة الكتاب (أما بعد: فهذه مباحث لطيفة ومسائل شريفة تدور حول زيارة أعظم خلق الله وأكرم رسل سيدنا محمد بن عبدالله عليه صلوات الله.نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل ذلك منا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قدير وبا لإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.
وكتبه: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني).

قلت: وقد حوت مباحث الكتاب (اللطيفة) ومسائله (الشريفة) كسابقه على جملة وافرة من الأخطاء الشرعية في مسائل شتى في التفسير والحديث والفقه، وأشنعها تلك المتعلقة بأصول الاعتقاد.

وما قيل في الكتاب السابق يقال في هذا، حيث جمع المؤلف سقطات المخالفين وساقها بقلم الحفاوة والرضا، ممجداً أصحابها مضيفاً عليهم ألقاب التعظيم والتفخيم.ومن أمثلة ذلك:

* في صفحة (97) قال: (قال محيي السنة ومميت البدعة ابن الحاج في كتابه "المدخل"، وهو معاصر لابن تيمية وتوفي بعده بسنوات، في فصل زيارة القبور:

وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي عليهم الزائر، ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر و الفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع وليحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره..) إلى أن قال (ثم يتوسل إلى الله بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك..فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم، هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عموماً.

قال رضي الله عنه: فصل: وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد أضعافه، أعني في الا نكسار والذلة والمسكنة..) إلى أن قال: (فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآ ثار)

ثم قال: (إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة و

السلام كما هو في حياته إذ
لا فرق بين موته وحياته، أعني في مشاهدته لأمته ومعرفة أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء فيه...) اهـ.

* وفي صفحة 120 قال: (ذكر الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد القشاشي صيغة زيارة تقال عند المواجهة الشريفة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وتستشعر جوابه r لك عند ذلك ولو بالغيب، فالإيمان بالغيب حصول على المغيب بالغيب يقيناً
وتقول: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا باطن، السلام عليك يا ظاهر..) إلى أن قال: (ويقال: إن ذلك من تحية جبريل للنبي r).

* وفي صفحة 131 تحت عنوان (حقيقة الزيارة وتعريفها) قال ما نصه: (قال الإمام العارف بالله الشيخ أحمد المعروف بالقشاشي: الزيارة الحقيقية مضبوطة شرعاً بالقصد له في مسجده ومدينته و الوقوف عنده والسلام عليه والتوسل به في تحقيق وجوب الشفاعة له) إلى أن قال: (فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات: الشفاعة والبشرى بالموت على
الإسلام..فقد أتم الله للحبيب المضاهاة بكل الحالات) انتهى نقله باختصار.

* ثم عقد المؤلف فصلا ً خاصاً سماه (الزيارة النبوية والشعر) ابتدأه من (ص201) إلى (ص237) وأنهى به الكتاب.

قال أوله: (وسنذكر في هذا المبحث جملة من غرر القصائد النبوية والمدائح المحمدية التي يستحسن أن تقال أمام المواجهة النبوية وفي حضرة الزيارة المحمدية حيث اشتملت على خطابه صلى الله عليه و سلم بأجمل أنواع الخطاب وأبلغ أساليب السلا م..).

قلت: ثم ساق القصائد المذكورة ودبجها بعبارات المديح والثناء و الإطراء، ومن أمثلتها:

القصيدة الأولى: (قصيدة الحجرة النبوية الشريفة) قال الدكتور (ص203):
(أنشأ هذه اليتيمة العصماء السلطان عبدالحميد خان..واستحقت بإخلاص ناظمها وحبه الصادق لسيدنا رسول الله r أن تنقش على الحجرة النبوية).

ومما جاء فيها:
يا سيدي يارسول الله خذ بيدي   مالي سواك ولا ألوي عل أحد
فأنت نور الهدى في كل كائنة   وأنت سر الندى يا خير معتمد
وأنت حقاً غياث الخلق أجمعهم   وأنت هادي الورى ذي المدد
إني إذا سامني ضيم يروعني   أقول يا سيد السادات يا سندي
وانظر بعين الرضا لي دائماً أبداً   واستر بفضلك تقصيري مدى الأ
مد
واعطف علي بعفو منك يشملني   فإني عنك يا مولاي لم أحد
إني توسلت بالمختار أشرف من   رقى السموات سر الواحد الأحد
رب الجمال تعالى الله خالقه   فمثله في جميع الخلق لم أجد
* القصيدة الثانية: (القصيدة الوترية البغدادية) قال عنها الدكتور (ص205-206):
(هذه القصيدة العصماء هي إحدى القصائد الوترية في مدح خير البرية r للإمام الفاضل الأديب الكامل الواعظ الصالح الزاهد أبي عبدالله مجد الدين) إلى أن قال: (وقد حظيت أن ينقش أكثرها أمام المواجهة النبوية الشريفة).
وجاء فيها:
بنور رسول الله أشرقت الدنا   ففي نوره كل يجيء ويذهب
براه جلال الحق للخلق رحمة   فكل الورى في بره يتقلب
بعزته سدنا على كـل أمة   وملتنا فيها النبيون ترغب
بذلي بإفلاسي بفقري بفاقتي   إليك رسول الله أصبحت أهرب
بجاهك أدركني إذا حوسب الورى   فإني عليكم ذلك اليوم أحسب
* القصيدة الثالثة: (القصيدة الحدادية الداخلية) قال الشيخ الدكتور (207-209):(هذه القصيدة العصماء للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد الولي الكبير العارف بالله تعالى الشهير السيد الحبيب النسيب الشيخ عبدالله بن علوي الحداد..رضي الله تعالى عنه)..
إلى أن قال: (وقد حظيت أن تنقش داخل الحجرة النبوية الشريفة لإخلاص ناظمها وحبه الأكيد).
وجاء فيها:
نزلنا بخير العالمين محمد   نبي الهدى بحر الندى سيد العرب

ملاذ البرايا غوث كل مؤمل   كريم السجايا طيب الجسم والقلب
كريم حليم شأنه الجود والوفا   يرجى لكشف الضر والبؤس والكرب
وقفنا على أعتاب فضلك سيدي   لتقبيل ترب حبذا لك من ترب
توجه رسول الله في كل حاجة   لنا ومهم في المعاش وفي القلب
عليك سلام الله ما سار مخلص   إليك يقول: الله والمصطفى حسبي
عليك سلام الله أنت ملاذنا   لدى اليسر والإعسار والسهل والصعب.

* القصيدة الخامسة: قال الدكتور(ص212-213): (للإمام العارف بالله عبدالرحيم البرعي).

جاء فيها:

يا صاحب القبر المنير بيثرب   يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من نرجيه لكشف عظيمة   ولحل عقد ملتو متعصب
يا من يجود على الوجود بأنعم   خضر تعم عموم صَوْب الصّيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم   وربيعهم في كل عام مجدب
يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها   وأمان كل مُشرق ومغر
يا من نناديه فيسمعنا على   بعد المسافة سمع أقرب أقرب
يا سيدي إني رجوتك ناصراً   من جور دهر خائن متقلب
فأقل عثار عُبيدك الداعي الذي يرجوك إذ راجيك غير مخيب
واكتب له ولوالديه براءة   من حر نار جهنم المتلهب
واقمع بحولك باغضيه وكل من   يؤذيه من متمرد متعصب
واشفع له ولمن يليه وقم بهم   في كل حال يا شفيع المذنب
وعليك صلى ذو الجلال أتم ما   صلى وسلم يا رفيع المنصب

* القصيدة العاشرة: قال الدكتور (ص220-223): (للإمام عبدالله بن علوي الحداد).

جاء فيها:

وقفنا وسلمنا على خير مرسل   وخير نبي ما له من مناظر
فرد علينا وهو حي وحاضر   فشرف من حي كريم وحاضر
هو الساس وهو الرأس للأمر كله   بأولهم يدعى لذاك وآخر
ألا يا رسول الله عطفاً ورحمة   لمسترحم مستنظر للمبارر
ألا يا حبيب الله غوثاً وغارة   لذي كربة مسودة كالدياجر
ألا يا أمين الله أمناً لخائف   أتى هارباً من ذنبه المتكاثر
ألا يا صفي الله قم بي فإنني   بكم وإليكم يا شريف العناصر
ويا غوث كل المسلمين وغيثهم   وعصمتهم من كل خوف وضائر

* القصيدة الرابعة عشرة: قال الدكتور (ص227- 228): (للشيخ جمال الدين يحيى الصرصري).
جاء فيها:
جئناك نطوي القفار الشاسعات على   عيس لهن بنا وخد وإرقال
فاعطف على وفدك الراجين فضلك يا من عنده للعطاء الغمر إجزال
وها عُبيدك يحيى قد أتاك مستأنساً   وجلا   ً مما يزخرف حاوي المكر محال
فاسأل الله أن أحيا على سنن   سننتها فبها قد ينعم البال
* القصيدة السادسة عشرة: (زيارة حبشية) قال الدكتور (ص 230- 231): (للإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه).
جاء فيها:
يا ملاذ الكل يا أهل الندى   يا كريم الأصل يارب الحور
يا غياث الخلق يا ذا الفضل والجود   والإحسان في بحر وبر
يا لجا اللاجين يا خير نبي   ورسول جاء حقاً بالسور
أنت بباب الله لا يقصده الشخص   إلا فاز حقاً بالوطر
يا رسول الله غوثاً عاجلا   ً يدفع البلواء عنا والضرر
قد لجونا نحو بابك سيدي   ووقفنا ننتظر منك الخبر
وارحم الأمة جميعاً إنهم   لم يزالوا في عناء وكدر
وأرحمهم من عنا هذا الوبا واطلب الرحمن يسقيهم مطر
فبحق الطهر طهر سيدي   لجميع الأرض من هذا الضرر
وبحق الحسنين ارفع لما   قد عرى وارحم فقد زاد الحذر
* القصيدة الثامنة عشرة: قال الدكتور (ص234): (للسيد محمد أمين كتبي).
جاء فيها:
مالي من الأعمال ما أرجو به فوزاً ولكن في نداك رجائي
فامنن علي بنظرة وبتوبة   وصيانة وسلامة وشفاء
واشفع لدى المولى الكريم تفضلا   ً لأكون صاحب صفحة بيضاء
فلأنت في الدنيا وفي الأخرى وفي كل المواطن عدتي وندائي
فامنن علينا بالزيارة عاجلا   ً في صحة وسلامة وهناء
حسبي بجاهك مأمناً ومثابة   وببحر جودك مورد استغنائي
* القصيدة التاسعة عشرة: قال الدكتور (ص235): (للإمام العارف بالله السيد محمد أمين كتبي).

جاء فيها:

كلما لحت للملائك خروا في السموات سجداً وبكيا
ومددت الأكوان شرقاً وغرباً مدداً في كيانها كليا

3- الخلاصة

وبعد، فلعل فيما تقدم من عرض وتحليل لمجمل ما في الكتابين "الذخائر" و "شفاء الفؤاد"، كفاية في الدلالة على بقية محتوياتهما، وبيان حقيقة منهج المؤلف وطريقته ونحلته التي يدعو إليها، وهي كما رأيت ليست أخطاءً هينة ولا مخالفات يسيرة مما يسوغ فيه الا جتهاد ويقبل الخلاف تبعاً لدلالات النصوص وتباين المدارك والفهوم بل هي أغلاط منكرة وعقائد زائغة وضلالات جسيمة تخالف شريعة الإسلام بالكلية وتناقض أسسه وقواعده وأصوله.

هذا وما نقلته لك إنما هو غيض من فيض متراكم ونقطة من بحر متلاطم، والأمر- والله - أعظم مما وصفت وأكبر مما رأيت، ولو رمت سرد كل مغالطات المؤلف وسقطاته، مجرد سرد، دون تعقب، لأفضى إلى التطويل المفضي إلى الإملال، إذ لم تكد تخلو صفحة مما كتب من خطأ واضح جلي في مسائل التوحيد وقضايا الاعتقاد.

* لقد مر بك قوله[1]: (ما أرسل الرحمن أو يرسل، من رحمة تصعد أو تنزل..إلا وطه المصطفى عبده.. واسطة فيها وأصل لها)، وهذه منازعة للرب عز وجل في صفة الرحمة.

* وقوله عن النبي :(إذ لا فرق بين حياته وموته.. في مشاهدته لأمته ومعرفة أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم)، وهذه منازعة للرب سبحانه في صفة العلم.

* وقوله أيضاً: (يا من نناديه فيسمعنا على بعد المسافة سمع أقرب أقرب) وهذه منازعة للرب جل وعلا في صفة القرب.

* وقوله كذلك إنه (سمي من أسماء الله تعالى ينحو سبعين اسماً) بل ذهب أبعد من ذلك فزعم أن له r كل أسماء الله الحسنى[1]، فلم يُبق لله اسماً يختص به.

* وسمعت قوله: (يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي، مالي سواك و لا ألوي على أحد) وقوله أيضاً: (عجل بإذهاب الذي أشتكي فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟) وهذه منازعة صريحة في الألوهية.

* ولما كانت الصفة الغالبة على المؤلف في اختياره ونقله وتقريره واجترارہ لمسائل الكتابين هي مخالفة النص الصريح من القرآن و السنة وإجماع السلف، مع الإصرار على تلك المخالفة والتأكيد على ا لإصرار فقد أطلقت عليه اسم "المخالف"، وهو أقل وصف يستحقه بعد الذي رأيته من نصوص كلامه، وما ستراه أشد وأنكى.

* ولا أدل على إصراره على المخالفة وتشبثه بها وعضه عليها، من تكراره لنفس الأخطاء الشنيعة والطامات الموبقة التي أكثر منها في كتابه الأول "الذخائر"، وإعادتها بمثلها وأعظم منها وأشنع في كتابه الأخير "الشفاء"، مع طول الفترة بين التأليفين والتي قاربت العشرين عاماً.

* ثم إنه نوقش بما في كتابه الأول، ورُد عليه وبُين له وجه الخطأ وعُقد له مجلس مشهود مع بعض أهل العلم، وكان الظن به وبمن هو في منزلته وعلمه أن يتوب ويرجع، ولو فعل لكان خيراً له وللناس وأقوم، ولكنه - هداه الله - أصر واستكبر وأعاد الكرة في الكتاب الآ خر بأسلوب أصرح وأوضح من ذي قبل، فاستبدل الذي هو أدنى بـ الذي هو خير.

* ولا ينقضي عجبي من أولئك الذين عرفوا حقيقة هذا "المخالف" وظهر لهم إصراره على المخالفة ثم يستهلكون في الدفاع عنه وتكلف الأعذار له، ولو على حساب الدين والعقيدة والإ يمان !!

أقول لهم: ما رأيكم بمن يقول: إن رسول الله r أوتي علم الغيب ومفاتحه الخمس وعلم الروح، وإنه يملك حق الإقطاع في الجنة لمن شاء، وإن أسماءه مطابقة لأسماء الله الحسنى، وإنه المنعم على كل الوجود، الممد بالخير والبر لكل موجود، لجا اللاجين، وغياث المستغيثين، غافر الذنب وقابل التوب، الذي من أجله خُلق الكون وله يسجد من في السموات ومن في الأرض، وقبره خير من الجنة والعرش...وهلم جراً ؟!

أوقفهم على كل هذه العظائم ومثلها ومثلها ومثلها...فيتكلفون له الأعذار ويتمحلون عنها الجواب:

* فمن قائل: (هذه الأقوال مدسوسة عليه وعلى كتبه، ولا يمكن صدورها عنه)!

* ومن قائل: (هذه الأقوال يمكن أن تؤَوّل وتُحمل على أحسن محمل)!

* ومن قائل: (هلا ناقشته وبينت له وأوضحت له فلعله يقنعك أو يقتنع، وإن أخطأ فلعله إذا روجع أن يرجع)!

وأنا أقول لهؤلاء المتكلفين: اربعوا على أنفسكم وأريحوها من هذا التكلف العسير، فقد

قدمت إليكم ما يؤكد تأكيداً جازماً لا شك فيه أن الكلام كلامه و القول قوله وهو لا يفتأ
يكرره في مصنفاته، وإن كنتم في ريب مما أقول فاسألوه يخبركم الخبر اليقين.
وأما تأويل الكلام ولي عنقه وحمله على محامل حسنة لتوافق الصواب، فهو أمر جد عسير بل هو ضرب من المستحيل في أكثر الأ حيان.
* إذ كيف يمكن تأويل قوله: (إن النبي r أوتي علم الخمس و الروح وله حق الإقطاع في الجنة لمن شاء)؟
* وكيف نتأول قوله: (كلما لحت للملائك خروا، في السموات سجداً وبكياً) ؟
* وبم نتأول خطابه للنبي : (وانظر بعين الرضا لي دائماً أبداً، واستر بفضلك تقصيري مدى الأمد)؟
* وكذا قوله له: (واعطف علي بعفو منك يشملني، فإنني عنك يا مولاي لم أحد)؟
وقل مثل ذلك في سائر الأقوال المنكرة التي يستحيل تأويلها لصراحتها ووضوح نكارتها.
وليس أدل على ما ذكرت من عجز أولئك "المتكلفين"، عن الجواب عن تلك المنكرات الشنيعة التي شحن بها المخالف كتابيه، فحادوا عنها إلى مسائل أخرى دندنوا حولها وشغبوا بها، ليوهموا العوام بأنها هي أس الخلاف القائم بين الفريقين، وليستروا بها تلك الفضائح التي هي أصل الخلاف وحقيقة الاختلاف.
وأضرب لهم مثلا ً على ذلك، مسألة الاحتفال بذكرى المولد النبوي، التي دأبوا على إثارتها وإكثار الجدال فيها ليوهموا من لا دراية له بحقيقة الأمر أنها أكبر ما يؤخذ على هذا المخالف وينكر. وليس الأمر كما زعموا، فالأمر أعظم من ذلك وأخطر.
فإن قيل: فما قولكم في "المولد"؟
فالجواب: إن ذلك يحتاج إلى تفصيل، لا تحتمله هذه الورقات، وليس هو موضوع هذا الكتاب، ولكن يمكن أن ألخص الكلام فيه في هذه النقاط العشر:
1- المولد النبوي نفسه، بمعنى وقت ولادته، اختلف في تحديد يومه وشهره بين علماء المسلمين ممن كتب في السير والملاحم و

التاريخ، مع اتفاقهم على أنه يوم الاثنين كما ورد بذلك الخبر الصادق عن النبي .

2- ومن دوّن فيه وكتب من أهل العلم، فلكونه من أحداث السيرة النبوية، فيذكرون الإرهاصات السابقة لمولده r ثم مولده ونشأته وحياته قبل البعثة وبعدها إلى يوم وفاته.

3- وأما الاحتفال بمولده r فهو ممكن عقلاً لمن حضر ذلك اليوم الذي ولد فيه،
وأما بعده فلم يبق إلا حدثاً وسيرة كسائر الأحداث والسير التي مرت في حياته .

4- ومعلوم أن حياة النبي r امتدت ثلاثة وستين عاماً، منها أربعون قبل البعثة وثلاثة وعشرون بعدها، فكل يوم فيها هو يوم من حياته الشريفة المباركة ولا يقل شرفاً ولا أهمية عن يوم ولادته بل قد يفضل عليه، كيوم بعثته مثلاً.

5- والاحتفال بمولده بمعنى إحياء ذكرى ذلك اليوم واتخاذه عيداً يتكرر على الدوام،
لم يفعله صاحب الشأن نفسه ولم يرغب فيه حتى مات ، ولم يفعله صحابته الكرام
ولا أزواجه ولا أهل بيته ولا التابعون ولا أتباعهم ولا الأئمة الأعلام.

6- ومضت تلك القرون الفاضلة والأمر على ما هو عليه من ترك الأمة كلها من شرقها إلى غربها الاحتفال بذكرى المولد أو غيره من الأيام، التي كما ذكرت لا تقل عنه أهمية، فهي جزء من حياة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

7- هذا وقد كثرت مجالسهم في فنون العلم، في التفسير و الحديث والفقه واللغة والأدب والشعر، وسائر العلوم والفنون، ولم يخصوا مجلساً واحداً ولا محفلاً واحداً من تلك المحافل على تنوعها، باحتفال بذكرى أي يوم من تلك الحياة الشريفة الحافلة.

8- حتى إذا حدث النقص في الأمة في القرون التالية للقرون الفاضلة وتقلد زمام الأمر فيها فرقة باطنية ضالة، أبطنت الكفر و الزندقة وأظهرت الإسلام والتشيع، وصارت لها دولة، هي الدولة العُبيدية، وهي المسماة بالدولة الفاطمية، فأحدثت الاحتفال بذكرى المولد النبوي، وكان ذلك في سنة 361هـ.

فتأمل - رحمك الله - كيف يمكن أن يهمل خير هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قربة من أعظم القرب، ويغفلون

عنها، وفيهم ومن بينهم من لو وزن بالأمة كلها لرجح بهم، ويتتابعون على هذا الإهمال وذلك الإغفال كابراً بعد كابر، وجيلا ً بعد جيل، ثم يهتدي إليه ويسبقهم إليه أصحاب تلك النحلة الخبيثة الباطنية!!!

9- وإن تعجب، فعجب قولهم (إن لنا على ذلك الاحتفال أدلة)، أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين دليلا ً، بعضها من القرآن وبعضها من السنة وبعضها أدلة عقلية!!

وليت شعري، كيف فات النبي r استنباطها من القرآن وهو ينزل عليه، ومن السنة وهو الناطق بها ؟

ثم كيف فات أكابر الصحابة وعلماءهم وفضلاءهم، والله تعالى يقول: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ؟

وقل مثل ذلك في التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأ مة، كيف عميت عليهم معاني تلك النصوص وغبي عليهم فهمها، وهم أساطين العلم والفهم والعقل؟

10- وأخيراً فإن أكثر الناس لا يعرفون هذه الحقائق، وتختلف أفهامهم ومقاصدهم من حضور تلك الاحتفالات:

* فمنهم من يقصد بها دراسة السيرة النبوية، ولا يفهم من معنى"المولد" إلا هذا، وهؤلاء هم السواد الأعظم من الحاضرين و المحتفلين.

* ومنهم من يقصد بها التبرك بحضور مجالس الذكر، فكل مجلس ذكر عندهم يمكن أن يطلق عليه "مولد".

* ومنهم من يحضرها إجابة للدعوة ومشاركة في الاجتماع، ويعتبرها من أمور العادات.

وعلى كل حال فإن قضية "المولد"، بمعنى الاحتفال بذكراه، ونحوه من المبتدعات ليست أصل النزاع بين "المخالف" وبين خصومة من أهل العلم ممن تعقبه ورد عليه، كما زعم أولئك المتكلفون، مع أنها محل خلاف بين الفريقين، ولكن أصل النزاع - معشر المؤمنين - هو كما ذكرت في أصول الدين وأركانه.

فإن كان الخلاف في أصول الدين وأركانه، فالأمة كلها معنية به، ومن حق المسلمين جميعاً، بل من الواجب المتحتم عليهم أن ينصروا الحق ويعلوا رايته، ويوالوا أهله، وأن يقمعوا الباطل

ويدمغوا رايته، ويعادوا أهله ويتبرءوا منهم، عملا ً بقول الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .وإذعاناً لأمره ونهيه إذ قال: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .وقال أيضاً: والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [التوبة:71].

ووقوفاً عند حده في قوله: لا تجد قوماً يؤمنون بـالله واليوم ا لآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون [المجادلة:22].فذلك هو أقل الواجب وأضعف الإيمان، أن يتبرأ المؤمنون من هؤلاء المخالفين وأضرابهم وأن يتبرءوا إلى الله من أقوالهم وأفعالهم وبدعهم ومنكراتهم.

وثمة واجب آخر فرضه الله عز وجل على طائفة من عباده المؤمنين، لا يسعهم النكوص عنه ولا التنصل منه، وهو النصيحة في الدين، وجهاد المخالفين، وفاءً بعهد الله وميثاق الكتاب المبين.

قال تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه [آل عمران: 187]، وقال: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون [البقرة:159].

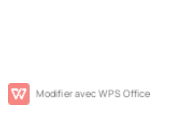
قلت: من أجل ذلك كتبت هذا الرد، واقتصرت فيه على أمهات الأ خطاء الواردة في كتابي "الذخائر" و "شفاء الفؤاد"، وتركت بقيتها بغية الاختصار.وجعلته في مقدمة، ذكرت فيها أصل الدين وحقيقة الإسلام ومعنى لا إله إلا الله، وذكرت نبذة عن الشرك ونشأته في الأ مم من زمن قوم نوح عليه السلام، وأشرت إلى وسائله وطرقه الموصلة إليه وأهمها: الغلو في الصالحين والعكوف على قبورهم.

ثم شرعت في بيان أخطاء المخالف والرد عليها، وضمنتها في ثلا ث أبواب:

الباب الأول: بينت فيه حقيقة ما يدعو إليه المخالف من الدعوة إلى الشرك بنوعية: شرك العبادة، وشرك الربوبية.

الباب الثاني: ذكرت فيه افتراء المخالف على الملائكة الكرام

ورميهم بالشرك والكفر.
الباب الثالث: برهنت فيه على نقض المخالف أركان الإيمان الأ ربعة:
الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسول صلى الله عليه وسلم، وبه ختمت الكتاب، وهو القسم الأول من الرد، وسميته: "جلاء البصائر في الرد على كتابي شفاء الفؤاد والذخائر".
وبعد، فقد بقيت مسائل مهمة أوردها المخالف في كتابيه المذكورين ، وهي مما يحتاج إلى جلاء وتوضيح، ومنها على سبيل المثال:
* محبة الرسول ، وهي من أولى المسائل التي أثارها المخالف وجعل يدندن حولها في كل مجلس وفي كل تأليف، وهي من الدعاوى العريضة التي دأب المخالفون على التشغيب بها والتستر بها على مر العصور.
* ومنها مسألة شد الرحل إلى القبر النبوي، وقد طال فيها الجدال والمراء من عهد بعيد.
* ومنها مسألتا التوسل والاستشفاع بالنبي r بعد موته، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
* ومنها حياة النبي r في قبره.
إلى غير ذلك من المسائل التي أثار فيها المخالف الجدال وأورد حولها الشبهات.
ولأن الكلام فيها يطول فقد أفردتها في كتاب آخر وهو القسم الثاني من الرد، وسميته:
"الكشف والتبيين عن شبهات المخالفين" .
والحمد لله في الأولى وفي الآخرة وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله.
* * *



المقدمة

* اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.
* ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله.
* وقالوا لا تذرن آلهتكم.
* سد ذرائع الشرك.
* ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.
* لا تغلوا في دينكم.

اعبدوا الله ما لكم إله غيره

اعلم - رحمك الله - أن حقيقة دعوة الرسل وأسها على توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة وإخلاصها له وعدم إشراك شيء معه، أياً كان هذا الشيء، ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلا ً أو حجراً أو شجراً أو غير ذلك من الأوثان والأنداد والأصنام.

ولم يخلق الله الخلق ولا بعث إليهم الرسل إلا لهذه الغاية العظمى ، عبادة الله وحده
لا شريك له.قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات:56]، أي ليوحدوني. "تفسير القرطبي" (56/17).

وقال: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [النحل:36].

وقال عز وجل: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره [الأعراف:59].

وهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك، ولم تزل كذلك دعوة من بعده، هود وصالح وشعيب عليهم السلام اعبدوا الله مالكم من إله غيره .

وهذه الدعوة حقيقة معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وسائر أنواع العبادات القولية والعملية، ويدل على ذلك قوله تعالى:

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء:25].

وكذلك كانت دعوة خاتم الرسل r لقومه وللناس كافة، أمرهم بتوحيد الله وقول لا إله
إلا الله فأبوا عليه إلا قليلا ً ممن آمن، وكان يرسل إلى الملوك يدعوهم إلى التوحيد، كما جاء في
رسالته إلى هرقل: و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله [(1)].

ولما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول
ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وفي لفظ: إلى عبادة الله وفي لفظ: إلى أن يوحدوا الله [(2)].

فدلت هذه النصوص وغيرها على أن عبادة الله وحده وعدم الإ

إشراك به هو أصل الدين وهو معنى لا إله إلا الله، وهو ما يسميه العلماء توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، ولم تخل شريعة من شرائع الرسل من هذه الدعوة لأنها هي الإسلام الذي لا يرضى الله عز وجل ديناً غيره كما قال: إن الدين عند الله الإسلام [آل عمران: 19].وقال ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآ خرة من الخاسرين [آل عمران:85].

ولقد فهم المشركون الذي بعث فيهم النبي r معنى كلمة التوحيد لما دعاهم إليها فقالوا كما حكى القرآن عنهم: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب [ص:5].

فهموا أن معناها ترك الآلهة والأنداد وما يتبع ذلك من أمور الجاهلية، وتوحيد الخالق بالعبادة، والتي تستلزم كمال الخضوع له والانقياد، المستلزم زوال طاغوت الجاهلية.

إذ العبادة (هي الطاعة والخضوع، يقال: طريق معبد إذا كان مذللا ً بكثرة الوطء.

والتعبد هو التنسك، والعبودية هي الخضوع والتذلل.وقول الله تعالى إياك نعبد أي: إياك نوحد.

والعابد هو الخاضع المستسلم المنقاد لأمر المعبود)[1].

وتأتي العبادة أيضاً بمعنى الدعاء والطلب كما في قوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين [غافر:60]، وكقوله تعالى: وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً.فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله [مريم:48-49].

وقد تكرر ذكر العبادة في القرآن بمعنى الدعاء والقصد والطلب، إذ كانت هذه أكثر عبادة المشركين في كل أمة لأصنامهم وأنداد هم ومعبودا تهم.

قال تعالى: والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [الزمر:3]

وقال عز وجل: ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً [الفرقان:55].

وقال سبحانه مخاطباً عبده ورسوله محمداً : قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

أن أسلم لرب العالمين [غافر:66].
وقد صح من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي r
أنه قال: الدعاء
هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب
لكم.. الآية[2].
ولقد كان أكثر عبادة المشركين الأولين لأصنامهم وأنداد هم
وأوثانهم بدعائهم وسؤالهم من
دون الله، وهم مع ذلك كانوا يعبدون الله ويدعونه ويلجأون إليه،
فجمعوا بين الإيمان به والشرك معه، كما قال تعالى عنهم: وما
يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون [يوسف: 106].
* * *

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله

ثم اعلم - رحمك الله - أن المشركين الذين بعث فيهم رسول r كانوا مقرين بوجود الله وبربوبيته وتصرفه وتدبيره للأمور، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأن آلهتهم التي يعبدونها لا تفعل شيئاً من ذلك وإنما يدعونها ويلجأون إليها لتشفع لهم عند الله، ويجعلونها بمثابة الوسطاء عند الملك يرفعون إليه حاجة من توسل بهم، ويزعمون أن الله لا يستجيب لهم حتى يشفع هؤلاء الوجهاء المقربون.

* ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله. فقل: أفلا تتقون [يونس:31].

وقوله: قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله، قل أفلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله. قل أفلا تتقون.قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون.قل فأنى تسحرون [المؤمنون:84-89].

* وأما اتخاذهم أصنامهم ومعبودا تهم شفاء ووسطاء فيدل عليه قوله تعالى: ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض.سبحانه وتعالى عما يشركون [يونس:18].

وقال سبحانه وتعالى: أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون.قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون [الزمر:43-44].

ففي الآية الأولى أخبر سبحانه عنهم سبب عبادتهم لهم وهو اتخاذهم إياهم شفاء، ثم سماه عز وجل شركاً فقال: سبحانه وتعالى عما يشركون .

وفي الآية الثانية تأكيد للأولى، وبيان آخر وهو أن الشفاعة كلها لله لا لأحد من الخلق، وإنما هي ملك له وحده يأذن لمن يشاء، بخلا ف شفاعة الخلق لبعضهم عند بعض كشفاعة الوجهاء عند الرؤساء

فهذه شفاعة تليق بحال المخلوقين من الضعف والعجز والقلة و الذلة، كما أن شفاعة الخالق سبحانه تليق بجلاله وعظمته وكمال سلطانه وعزته وغناه عن خلقه، ومن سوّى بين الشفاعتين فقد غلط غلطاً بيناً وافترى إثماً عظيماً.



وقالوا لا تذرون آلهتكم

ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً
ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً أنها (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[1].

قال السهيلي: (كانوا يتبركون بدعائهم كلما مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل فعبدوها بتدريج الشيطان لهم، ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية، ولا أدري من أين سرت لهم تلك الأسماء؟ من قبل الهند؟ فقد قيل إنهم كانوا المبدأ في عبادة الأصنام بعد نوح، أم الشيطان ألهم العرب ذلك؟) انتهى نقله من "فتح الباري"، ثم قال الحافظ: (وقد أخرج الفاكهي من طريق ابن الكلبي قال: (كان لعمرو بن ربيعة رئي من الجن فأتاه فقال: أجب أبا ثمامة، وادخل بلا ملامة ثم ائت سِيْفَ جدّة، تجد بها أصناماً معدة، ثم أوردها تهامة
ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب.قال فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح وإدريس، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب)[2] اهـ.وذكر الحافظ أن عمراً هذا هو عمرو بن لحي.

قلت: وثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله r قال: رأيت
عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب وفي لفظ:
رأيت عمرو بن لحي [1].

قال الحافظ في "الفتح": (وأورده ابن إسحق في "السيرة الكبرى" عن محمد إبراهيم التيمي عن أبي صالح أتم من هذا ولفظه:(سمعت رسول الله r يقول لأكثم بن الجون: رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار لأنه أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي)[2].

ثم قال الحافظ: (وذكر ابن إسحق أن سبب عبادة عمرو بن لحي ا لأصنام أنه خرج إلى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الأ صنام فاستوهبهم واحداً منها وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة وهو هبل، وكان قبل ذلك في زمن جرهم قد فجر رجل يقال له إساف بامرأة يقال لها نائلة في الكعبة فمسخهما الله جل وعلا حجرين فأخذهما عمرو بن لحي فنصبهما حول الكعبة فصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ بإساف ويختم بنائلة)[3] اهـ.

والخلاصة: هي كما قال الحافظ: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)[4]، وأن أول من دعا إلى عبادتها في العرب هو عمرو بن لحي بن قمعة الخزاعي، ويقال له عمرو بن ربيعة أو عمرو بن عامر نسبة إلى جده. والله تعالى أعلم.

سد ذرائع[1] الشرك

(لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها.فوسائل المحرمات و المعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطها بها.فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل.

فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنعاً أن يقرب حماه)[2]

ولما كان الشرك أعظم الذنوب، فقد سدت دونه كل الوسائل المفضية إليه، والذرائع الموصلة إليه، وأعظمها العكوف على قبور الأ ولياء والصالحين وتعظيمها، والغلو فيهم بالمحبة والإطراء و التعظيم.

وقد تقدم معنا أن مبدأ الشرك في قوم نوح، كان سببه العكوف على قبور الصالحين، وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

وأما عبادة النصارى للمسيح عليه السلام، فكان سببها الغلو في التعظيم والإطراء، وكذا عبادة اليهود لعزير عليه السلام وعبادة المشركين للملائكة، ولذا فقد جاءت النصوص محذرة من هاتين الذريعتين: تعظيم القبور والغلو في أصحابها.

أما الأنصاب والأحجار والأصنام فإنما صنعت على صور أولئك المعبودين المعظمين،

المقبورين منهم وغير المقبورين، فهي ليست معظمة لذاتها، وإنما لكونها صورت على أشكالهم، أو على هيئة اخترعها عبادهم وتخيلوها في أذهانهم فصنعوا لها هياكل تدل عليهم وسموها بأسماء مخترعة أيضاً، كما فعل المشركون حين عبدوا الملائكة على صور أصنام واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل، لأنهم بزعمهم، بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والذين عبدوا القبور والأشجار والأحجار والأنصاب، إنما عبدوها تبركاً بها وتعظيماً للمعبودين إما لكونهم مقبورين فيها، أو لأنها أثر من الآثار الدالة عليهم.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله من مكايد إبليس، لعنه الله، التي كاد بها أكثر الناس
(ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن
عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله
تعالى)[1] اهـ.

* * *

ألا فلا تتخذوا القبور مساجد

ومن أعظم الوسائل المفضية إلى عبادة القبور والشرك بها واتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، العكوف عندها للصلاة والدعاء و العبادة وسائر القرب، فقد تواترت النصوص في النهي عن ذلك، ووردت بأبلغ عبارات التحذير وأشدها، إذ جاءت مقرونة باللعن و القتل والغضب، ووصف فاعلوها بأنهم شرار الخلق عند الرب عز وجل.

1- فعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها [(1)].

2- وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي نهى عن الصلاة إلى القبور [(2)].

3- وعن عائشة رضي الله عنها: أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا للنبي كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال النبي : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة [(3)].

4- وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله r طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة: (يحذر ما صنعوا)[(4)].

5- وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله r في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت: (فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)[(1)].

6- وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله r قال قبل موته بخمس:

ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك [(2)].

7- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي r قال: إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد [(3)].

8- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي r قال: اللهم لا تجعل

قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [4].

9- وعن عطاء بن يسار أن رسول الله r قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [5].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان": (ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته، ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها، ثم
جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى.

وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه حيث يقول:
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا
كثيراً .

قال غير واحد من السلف: "كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ").

قال ابن القيم: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله r في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها: أن
أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة ...) وذكر الحديث، ثم قال: (فجمع في هذا الحديث التماثيل والقبور.وهذا كان سبب عبادة اللات.فروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال: "كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره ".

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما:" كان يلت السويق للحجاج ".

فقد رأيت أن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسر واللات إنما كان من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها تماثيل وعبدوها).

ثم ساق رحمه الله الأحاديث السابقة في النهي عن اتخاذ القبور

مساجد، ثم قال: (وبالجملة: فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول r مقاصده جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغتيه: صيغة (لا تفعلوا) وصيغة (إني أنهاكم) ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب
ما نهاه واتبع هواه،ولم يخش ربه ومولاه وقل نصيبه أو عدم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّه. فإن هذا وأمثاله من النبي r صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه.

فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهيه وغرهم الشيطان فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وأشد فيهم غلواً، كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد).

قال ابن القيم: (ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة.فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم.

وهدى اللّه أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم اللّه إياها: من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم.فأما المشركون فعصوا أمرهم، وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم).

ثم قال:(ومن جمع و من جمع بين سنة الرسول r في القبور، و ما أمر به و نهى عنه،
وما كان عليه أصحابه، و بين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضاداً للآخر، مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً.

فنهى رسول الله r عن الصلاة الى القبور، وهؤلاء يصلون عندها.

ب- ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد و يسمونها مشاهد، مضاهاة لبيوت الله تعالى.

ج - ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

د- ونهى أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً و مناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

هـ - وأمر بتسويتها، و هؤلاء يرفعونها عن الأرض كالبيت، و يعقدون عليها القباب.

* و المقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعياداً،
الموقدين عليها السرج، الذين يبنون له مناسك، حتى صنف بعض غ
لاتهم في ذلك كتاباً وسماه "مناسك حج المشاهد" مضاهاة منه بِ
القبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول
في دين عباد الأصنام.
فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله r وقصده،
من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.
ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.
فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها، ومنها اتخاذها عيداً، ومنها
السفر إليها، ومنها مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف
عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها.ومنها اعتقاد
المشركين بها أن بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء ويستنزل
غيث السماء، وتفرج الكروب وتقضي الحوائج وينصر المظلوم
ويجار الخائف..إلى غير ذلك.
ومنها الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها
وإيقاد السرج عليها.ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.ومنها
إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم ما يفعل
عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهية) انتهى ملخصاً[1].
وقال الإمام النووي في "شرح مسلم": (قال العلماء: إنما نهى
النبي r عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في
تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأ
مم الخالية.
ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى
الزيادة في مسجد
رسول الله r حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت
بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها
مدفن رسول الله r وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا
على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد
فيصلي إليه العوام ويؤدي المحذور.
ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقتا
حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر)[2] اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر: (وكأنه r علم أنه مرتحل من ذلك المرض
فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى

إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم)[3] اهـ.

وقال في موضع آخر: (والوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيماً ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك إلى عبادتهم)[1]اهـ.

وقال الشيخ أحمد البنا الساعاتي: (أحاديث الباب تدل على تحريم اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء والصالحين لأن في الصلاة فيها استناناً بسنة اليهود والنصارى، وقد نهينا عن التشبه بهم في العادات فما بالك بالعبادات، وقد لعنهم النبي r على هذا الاتخاذ.

فأحاديث الباب برهان قاطع لمواد النزاع، وحجة نيرة على كون هذه الأفعال جالبة للعن، واللعن أمارة الكبيرة المحرمة أشد التحريم.

فمن اتخذ مسجداً بجوار نبي أو صالح بحيث يكون قبره داخلا ً في المسجد، رجاء بركته في العبادة ومجاورة روح ذلك الميت فقد شمله الحديث شمولا ً واضحاً كشمس النهار، ومن توجه إليه في صلاته خاضعاً له مستمداً منه فلا شك أنه أشرك بالله وخالف أمر رسول الله ، ولم تشرع الزيارة في ملة الإسلام إلا للعبرة و الزهد في الدنيا وتذكر الآخرة والدعاء بالمغفرة للموتى)[2] اهـ.



لا تغلوا في دينكم

الوسيلة الأخرى المفضية إلى عبادة الأوثان واتخاذ الأنداد من دون الله، الغلو في الصالحين من الأنبياء والملائكة وغيرهم من عباد الله المكرمين.

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه عن أهل الكتاب والمشركين الذين غلوا في الصالحين من الأنبياء والملائكة وغيرهم من عباد الله المكرمين.

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه عن أهل الكتاب والمشركين الذين غلوا في بعض خلقه فعبدوهم من دون الله واتخذوهم أرباباً وآلهة، يدعونهم ويرجونهم ويحبونهم كحب الله.

* قال تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض
وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير [المائدة: 17].

* وقال تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار
وما للظالمين من أنصار [المائدة:72].

* وقال سبحانه: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن
لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم.أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم.ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون [المائدة:73- 75].

* وقال عز وجل: وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك
قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون.اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون [التوبة:30-31].

* وقال تعالى: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا

خيراً لكم، إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات
وما في الأرض وكفى بالله وكيلا ً [النساء:171].
* وقال عز من قائل: قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل [المائدة: 77].
قال ابن كثير رحمه الله: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه.بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلا ً، أو ضلالا ً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ...الآية)[1] اهـ.
وقال ابن جرير- رحمه الله -: (لا تغلوا في دينكم يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم
فتفرطوا فيه ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم
على الله غير الحق لأن الله لم يتخذ ولداً فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابناً.
وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده، يقال منه في الدين: قد غلا فهو يغلو غلواً)[1] اهـ.
* وقال ابن جرير أيضاً في تأويل قوله تعالى: ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام : (وهذا خبر من الله تعالى ذكره، احتجاجاً لنبيه r على فرق النصارى في قولهم في المسيح.يقول مكذباً لليعقوبية في قيلهم: هو الله، والآخرين في قيلهم: هو ابن الله، ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهم، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر.وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر، حجة له على صدقه، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه. وأمه صديقة.

* وقوله: (كانا يأكلان الطعام) خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك فغير كائن إلهاً لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوباً لا رباً) اهـ."تفسير ابن جرير" (485-484/10).

* قلت: ولأن الغلو في المسيح عليه السلام هو الذي أدى بالنصارى إلى الكفر فألهوه وعبدوه، فقد حذر النبي r أمته من الغلو في شخصه لئلا تقع في المحذور الذي وقع فيه من قبلهم.

(1) فقال لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله أخرجه البخاري (478/6) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) وقال : إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بـ الغلو في الدين .رواه أحمد (215/1) والنسائي (268/5) وابن خزيمة (274/4).

(3) وأنكر على من قال له: (ما شاء الله وشئت) وقال: أجعلتني لله عدلا ً بل ما شاء الله وحده .رواه أحمد (ح 1839) وفيه ضعف، وله شواهد.

(4) وكره أن يقوم له أصحابه، كما قال أنس رضي الله عنه: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله r وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك).رواه الترمذي (90/5) وصححه.

(5) وكره منهم قولهم له (أنت سيدنا) وقال: السيد الله تبارك وتعالى مع أنه أخبر في حديث الشفاعة أنه سيد ولد آدم، سداً لذريعة الغلو فيه بدليل أنه قال: أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان .رواه أبو داود (154/5).

قلت: وهذا كان من هديه r مع أصحابه على الدوام، كان ينهاهم عن الغلو فيه والمبالغة في تعظيمه خوفاً عليهم أن يقعوا في المحظور الذي وقع فيه من قبلهم من أهل الكتاب.

* ولم يقتصر النبي r على جانب الإنكار على الغالين، بل كان هديه التواضع لله والخشية والعبودية له والافتقار إليه في أحواله كلها.

(1) فعندما بلغه نبأ الرهط الذين تقالوا عبادته قال: أما والله

إني لأخشاكم لله وأتقاكم له .رواه البخاري (104/9) ومسلم (1401).
(2) وقال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية رواه البخاري (276/13) ومسلم (2356).
(3) وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، فلما سُئل عن ذلك قال:
ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ فقد عذب قوم بالريح، وقد رأى القوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا رواه البخاري (578/8) ومسلم (899).
(4) وقال : لن يُدخل أحداً منكم عملـُه الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة .رواه البخاري (294/11) ومسلم (2816).
(5) وقال أيضاً: والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي .رواه البخاري (11/3).
* وكان يذكر أصحابه على الدوام بأنه بشر يعتريه ما يعتري البشر من الضعف والنسيان والخطأ[1].
1- فقد سها في صلاته أكثر من مرة بالزيادة والنقصان، وقال: إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني .متفق عليه "اللؤلؤ والمرجان" (114/1).
2- وقال أيضاً: إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع .رواه البخاري (339/12) ومسلم (1713).
3- وقال: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم .رواه البخاري (111/10) ومسلم (2571).
* ومن تواضعه r مع إخوانه الأنبياء:
1- قوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى
وقوله: " لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي متفق عليه "اللؤلؤ والمرجان " (119/3).
2- وجاءه رجل فقال له: (يا خير البرية) فقال رسول الله :

ذاك إبراهيم خليل
الله .رواه مسلم (2369).
3- ولما سُئل : من أكرم الناس؟ قال أتقاهم لله قالوا: ليس
عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله
ابن نبي الله ابن خليل الله .متفق عليه "اللؤلؤ والمرجان"
(119/3).
4- ولما بلغه قول الرجل المسلم لليهودي: (والذي اصطفى محمداً
على العالمين)
غضب r حتى رئي في وجهه وقال: لا تفضلوا بين الأنبياء وفي
لفظ: لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من
يفيق فإذا موسى بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق
قبلي، أو كان ممن استثنى الله .متفق عليه "جامع الأ
صول"(513/8).
5- وقسم رسول الله r قسماً، فقال رجل: (ما أريد بهذا
وجه الله).فبلغ ذلك النبي r فتمعر وجهه وقال: يرحم الله موسى
قد أوذي بما هو أشد من هذا فصبر .رواه البخاري (475/10)
ومسلم (1062).
* وكان هديه r في الدعاء والذكر في سائر الأحوال أحسن الهدي
وأكمله، ذلة وخضوعاً وخشية وإنابة ورغبة ورهبة لله عز وجل،
تحقيقاً لكمال العبودية لربه ومولاه، وإرشاداً لأمته من بعد أن تستن
بسنته وتهتدي بهداه، فتلهج قلوبهم وألسنتهم بذكر الله وحده
ودعائه وقصده في سائر الأحوال دون سواه.
1- فكان من دعائه r عند قيامه للصلاة قوله: وجهت وجهي
للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إ
لا أنت.أنت ربي وأنا عبدك.ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي
ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.. الحديث.رواه مسلم
(771).
2- وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع
لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي.. .رواه مسلم (771).
3- وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك
أسلمت.سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك

اللّه أحسن الخالقين.. .رواه مسلم (771).
3- ثم يقول بين التشهد والتسليم: اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني.أنت المقدم وأنت المؤخر.لا إله إلا أنت . رواه مسلم (771).
5- وكان r يقول إذا أمسى: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله.لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها.. الحديث.رواه مسلم (2723).
6- وكان يقول إذا أصبح: أصبحنا وأصبح الملك لله.. مثله.رواه مسلم (2723).
7- وكان r يقول عند الكرب: لا إله إلا اللّه العظيم الحليم، لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم، لا إله إلا اللّه رب السموات ورب الأرض، لا إله إلا اللّه رب العرش الكريم . رواه البخاري ومسلم "جامع الأ صول" (294/4).
قلت: وسائر الأدعية والأذكار على هذا المنوال.
* والمقصود أن النبي r سد على أمته كل الذرائع المفضية إلى الغلو فيه أو في غيره من الناس بمثل هذه السنن القويمة لئلا تقع فيما وقع فيه غيرها من الأمم السابقة.
ويحسن هنا أن نختم هذا الفصل بما فصله ابن القيم رحمه اللّه في "إعلام الموقعين" في هذه القاعدة العظيمة، قاعدة سد الذرائع، فساق تسعة وتسعين وجهاً، ذكر منها:
* الوجه الرابع عشر: (أنه r نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها[1] ، وكان من حكمة ذلك أنهما وقت سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سداً لذريعة المشابهة الظاهرة التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد، مع بعد هذه
الذريعة، فكيف بالذرائع القريبة) ؟.
* الوجه الثالث والأربعون: (أنه r قال: لا تقولوا ما شاء اللّه وشاء محمد [1]، وذم الخطيب الذي قال: (من يطع اللّه ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى)[2] سداً لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسماً لمادة الشرك حتى في

اللفظ.ولهذا قال للذي قال له: (ما شاء اللّه وشئت): أجعلتني لله
نداً ؟ فحسم مادة الشرك وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في
الفعل والقصد.فصلاة اللّه وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها
وأزكاها وأعمها).

* الوجه التاسع والأربعون:(أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أن
يقوموا حتى يروه قد خرج [3] لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم
لغير اللّه، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة، لكن قيامهم قبل
خروج الإمام ذريعة ولا مصلحة فيها فنهوا عنه).

* الوجه التاسع والثمانون (أن النبي r نهى الرجل أن ينحني
للرجل إذا لقيه[4] كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم، ممن لا
علم له بالسنة.بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف
السنة جهلا ً حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع
رأسه من الركوع
كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأ
موات.فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها وطائفة ث
الثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في
الصلاة، فتقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة.

والمقصود أن النبي r نهى عن انحناء الرجل لأخيه سداً لذريعة
الشرك كما نهى عن السجود لغير اللّه [1]، كما نهاهم أن يقوموا في
الصلاة على رأس الإمام وهو جالس[2]
مع أن قيامهم عبادة لله تعالى، فما الظن إذا كان القيام تعظيماً
للمخلوق وعبودية له ؟
فاللّه المستعان) اهـ."إعلام الموقعين" (3/151-167).

الباب الأول
الدعوة إلى الشرك

* أولا ً: شرك العبادة.
* فصل: ..بل هم أضل .
* ثانياً: الشرك في الربوبية.
* فصل: وذروا الذين يلحدون في أسمائه .

أولا ً: شرك العبادة

* علمت مما تقدم أن الإسلام هو إفراد الله بالعبادة والخضوع و الذل، وأن الرسل جميعاً ما أرسلوا إلا لدعوة الناس إلى توحيد الله فكلهم كان يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وأن شرك الأمم كان بعبادة غير الله مع عبادتهم لله، وهذا هو شرك العبادة، وهو الذي كانت عليه العرب قبل بعثة النبي .

* أما الربوبية، وهي الإقرار بأن الله هو خالقهم وخالق السموات و الأرض وأنه مدبر الأمر وأنه يجير ولا يجار عليه، وأن بيده مقاليد السموات والأرض..إلى غير ذلك من أفعال الله، فكانوا مقرين بها كما في قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .

* وعلمت أن مبدأ ذلك الشرك كان بالعكوف على قبور الصالحين و الغلو فيهم ونحت التماثيل على صورهم وأشكالهم.ثم لما تنسّخَ العلم عبدوهم فدعوهم من دون الله وسألوهم واتخذوهم شفعاء ووسائط ليقربوهم إلى الله.قال تعالى: والذين اتخذوا من دونه أولياء
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقال سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

* وأن هؤلاء الشفعاء والوسطاء كانوا إما ملائكة وإما أنبياء ك المسيح وعزير عليهما السلام وإما أناساً صالحين كاللات وود وسواع ونحوهم.وأما الجمادات التي يعبدونها كالأصنام والأشجار و الأحجار، فهي لم تقصد لذاتها بل لأنها تعبر عنهم وترمز إليهم.

* فالتماثيل والأصنام إما أنها صورت على صورهم حقيقة، ك الصالحين من قوم نوح،
وإما على ما صوره خيال المشركين، كصور الملائكة الذين جعلوهم بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

* وأما الأحجار والأشجار ونحوها، فاتخذوها آلهة لأنها أثر من آثارهم، كالذين عبدوا الصخرة التي كان اللات يلت عليها السويق، وكذا الصليب الذي عبدته النصارى لأنه يدل بزعمهم على المسيح عليه السلام، وكذبوا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

* ومن أجل ذلك حرمت الوسائل الموصلة إلى الشرك وسدت

الذرائع المفضية إليه من كل وجه ومنها الغلو في الأنبياء و الصالحين وتعظيم قبورهم والعكوف عليها واتخاذها مساجد وأعياداً ومشاهد.

* فكان موقف المخالف (الدكتور محمد بن علوي المالكي) من تلك القضايا كلها موقف النقض والمعارضة للتوحيد وخرق نسيجه وانتهاك حماه، وسلك عكس ذلك مع الشرك بأنواعه وضروبه ووسائله.

* ففي جانب الغلو في المخلوقين يقول المخالف : (اعلم أن جميع الكرامات والخصائص الواقعة في هذا العالم (من منذ) - كذا - خلق الله تعالى الدنيا لنبينا محمد r بحكم الأصالة، وإن وقع شيء منها لخواص الخلق فذلك بحكم التبعية في الإرث له .

ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله r لا ينبغي لأحد البحث فيه ولا المطالبة بدليل خاص فيه فإن ذلك سوء أدب.فقل ما شئت في رسول الله r على سبيل المدح
لا حرج " اهـ "الذخائر" (ص201).

* وفي شأن تعظيم القبور، ذكر أن زيارة قبره r :(إقرار لصاحب الرسالة محمد بن عبدالله بعظيم الفضل وكمال الإحسان..) إلى أن قال: (وهذا هو عين التوحيد) "شفاء الفؤاد" (ص36)، وجعل زيارة القبر من الهجرة إلى الله ورسوله "شفاء الفؤاد" (ص55)، وفضلها على الحج إلى بيت الله الحرام "شفاء الفؤاد"(ص165،35)، وحرّف في سبيل إثبات ذلك كل النصوص الدالة على تحريم اتخاذ القبور مساجد وشد الرحال إليها واتخاذها عيداً وعكس معناها لتوافق هواه ومذهبه[1].

* وما صنعه في الوسائل والذرائع الموصلة إلى الشرك الأكبر، صنع مثله بل أضعافه في الشرك نفسه، فشحن كتابيه بأنواعه كلها.ومن أمثلة شرك العبادة:

1- قوله: (فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله) "الذخائر" (ص101)، و"شفاء الفؤاد" (ص109، 117).

2- وقوله عن زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام:(فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والا ضطرار والخضوع، وليحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهداتهم بعين قلبه لا بعين بصره) إلى أن قال: (ويستغيث بهم ويطلب

حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح..لا يردون من سألهم
ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم) "شفاء الفؤاد" (ص97).

3- ثم قال: (وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر
يزيد أضعافه، أعني في الانكسار والذلة والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته
ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به)"شفاء الفؤاد"
(ص97).

4- ومما جاء في النظم قوله "الذخائر" (ص101) و"شفاء الفؤاد" (ص109):

أنت الشفيع وآمالي معلقة وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له إلا جنابك يا سؤلي ويا أملي

5- وقوله أيضاً:

فلذ به في كل ما تشتكي فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به في كل ما ترتجي فإنه المأمن والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة فرجت كرباً بعضه يذهل
عجل بإذهاب الذي أشتكي فإن توقفت فمن ذا أسأل؟

قال المخالف: (وهي مجربة لقضاء الحوائج تقرأ في آخر الليل..ويكرر بيت: عجل بإذهاب الذي أشتكي 73 مرة). "الذخائر" (ص158).

6- ومما جاء من أبيات أيضاً قوله "الذخائر" (ص166):

يا ملاذ الورى وخير عيان ورجاء لكل دان وقصي
لك وجهت وجهي يا أبيض الوجه فوجه إليه وجه الولي.

7- وقوله "شفاء الفؤاد" (ص203):

فالآن ليس سوى قبر حللت به منجى الطريد وملجأ كل معتصم
وإن رمتنا الخطايا وسط مهلكة فأنت ملجأ خلق الله كلهم
فالعفو شيمتك العظمى التي شهرت إذ كانت الموبقات الدهم من

شيمي
8- وقوله "شفاء الفؤاد" (ص203):
يا سيدي يارسول الله خذ بيدي   مالي سواك ولا ألوي عل أحد
إني إذا سامني ضيم يروعني   أقول يا سيد السادات يا سندي
وانظر بعين الرضا لي دائماً أبداً   واستر بفضلك تقصيري مدى الأ
مد
واعطف علي بعفو منك يشملني   فإني عنك يا مولاي لم أحد
9- وقوله "شفاء الفؤاد" (ص213):
يا سيدي إني رجوتك ناصراً   من جور دهر خائن متقلب
فأقل عثار عُبيدك الداعي الذي يرجوك إذ راجيك غير مخيب
واكتب له ولوالديه براءة   من حر نار جهنم المتلهب
واقمع بحولك باغضيه وكل من   يؤذيه من متمرد متعصب
واشفع له ولمن يليه وقم بهم   في كل حال يا شفيع المذنب

10- وقوله "شفاء الفؤاد" (ص222-223):
ألا يا رسول الله عطفاً ورحمة   لمسترحم مستنظر للمبارر
ألا يا حبيب الله غوثاً وغارة   لذي كربة مسودة كالدياجر
ألا يا صفي الله قم بي فإنني   بكم وإليكم يا شريف العناصر
قلت: وهذا الذي نقلته قطرة من بحر وغيض من فيض، وهو كما رأيت صريح الشرك والكفر، إذ لم يدع لله شيئاً من أمور العبادة، ك الدعاء والرجاء والسؤال والطلب والاستغاثة والالتجاء والقصد وسائر ما كان يفعله المشركون من قبل بأوثانهم وآلهتهم مما لا يجوز صرفه لغير الله، إلا أشرك فيه غيره معه.
وهو بهذا يكون قد نقض أصل الإيمان وحقيقة الإسلام التي مبناها على توحيد الله بالإرادة والقصد والطلب، وعدم الإشراك به في شيء من أمور العبادة التي من أخصها الدعاء والالتجاء.قال تعالى: ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين.وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله   [يونس: 106-107].
(وحاصل كلام المفسرين أن الله تعالى نهى رسوله r أن يدعو من دونه ما لا ينفعه
ولا يضره، والمراد به كل ما سوى الله فإنهم لا ينفعون ولا يضرون، وسواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم كما قال تعالى: وأن

المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً (الجن:18). وقال النبي r لابن عباس: إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن
الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا
على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

وفي الآية تنبيه على أن المدعو لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر حتى يعطي من دعاه
أو يبطش بمن عصاه، وليس ذلك إلا لله وحده، فتعين أن يكون هو المدعو دون ما سواه.

وقوله: فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين أي من المشركين.

وهذا كقوله: فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين [الشعراء:213].

وقوله: ولقد أحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [الزمر:65] وقوله في الأ نبياء: ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون [الأنعام:88]) اهـ "تيسير العزيز الحميد" (ص236-237).

وقد بين سبحانه في كتابه في أكثر من موضع أنه هو وحده الذي يملك النفع والضر،
لا يملكه أحد غيره، حتى الرسول r أفضل الخلق وأكرمهم وأعظمهم جاهاً، لا يملك لنفسه النفع والضر، فضلا ً عن أن يملك إيصاله للغير.قال تعالى: قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إ لا نذير وبشير لقوم يؤمنون [الأعراف:188].وقال تعالى: قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً
إلا ما شاء الله [يونس:49].

قال ابن جرير رحمه الله: (أي: لا أقدر لها على ضر ولا نفع في دنيا ولا دين، إلا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه إليها بإذنه) اهـ[1].

فإذا كان r لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً في دنيا ولا دين فكيف يملك شيئاً من ذلك لغيره من العالمين ؟!

ومع وضوح هذا القياس وجلائه، أن من لا يملك لنفسه، أولى وأحرى أن لا يملك لغيره، فقد جاء مصرحاً به في قوله تعالى: قل

إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً [الجن:21].
كما صرح به هو r لأقرب الناس إليه محبةً ونسباً ورحماً ولحمة، فقال: يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً.يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً،
ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً (متفق عليه "اللؤلؤ والمرجان" (52/1)، فبأي حديث بعده يؤمنون ؟!
وقد أمر الله عز وجل عباده بتوحيده في القصد والدعاء والطلب، في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، كقوله تعالى: هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين [غافر:65].
وأخبر سبحانه عن إمام الحنفاء قوله: إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين [الأنعام:79].
وصح أن النبي r كان يقول في صلاته: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين (رواه مسلم (771)).
ومما سنه رسول الله r من الذكر والدعاء عند النوم أن يقول: اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إ لا إليك.. الحديث.متفق عليه"اللؤلؤ والمرجان"(230/3).
وينقض المخالف ذلك كله ويقول: (لك وجهي وجهت يا أبيض الوجه، فوجه إليه وجه الولي).وهذا عين الكفر والمحادة لله ولرسوله r ، إذ صرف وجهه عن الخالق إلى المخلوق وعن الرب المالك المدبر إلى المملوك المربوب.
ومقتضاه كما هو ظاهر اللفظ: أنه وجّه وجهه وأسلمه لمعبوده وحده، وهو النبي r دون سواه، وهذا مستفاد من تقديم المعمول على العامل في قوله: (لك وجهت) الذي يفيد الحصر.
* ولقد كان المشركون الأولون يعبدون الله ويدعونه ويلجأون إليه ويجأرون كما أخبر الله عنهم وهو أصدق القائلين، فقال: وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون.ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون [النحل:53-54].
وقال سبحانه: قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين.بل إياه تدعون فيكشف ما

تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون [الأنعام: 40-41].
وقال سبحانه: وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوله نعمة منه نسي
ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله، قل تمتع بكفرك قليلا ً إنك من أصحاب النار [الزمر: 8].
والآيات في معنى ذلك أكثر من أن تحصر.والمقصود أنهم كانوا يعبدونه سبحانه ويلجأون إليه في الملمات، بل يخلصون له في الدعاء والقصد والرجاء لكشف الضر وتفريج الكربات.
ومع ذلك فقد حكم عليهم بالشرك والكفر والضلال وجعل مصيرهم إلى النار، دار البوار، لأنهم يشركون معه غيره من الأنداد ويدعونهم ويسألونهم في غير الشدائد من الأوقات.
* أما المخالف فقد وحّد معبوده من دون الله في كل الملمات وأخلص له الدعاء والرجاء والالتجاء، إذ قال: (هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له، إلا جنابك يا سؤلي ويا أملي).وهذا الأسلوب أيضاً يدل على الحصر والقصر والاختصاص وهو النفي مع الاستثناء (لا، إلا).
ومثله أيضاً قوله: (فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله).
وقوله: (فالآن ليس سوى قبر حللت به، منجى الطريد وملجا كل معتصم).
* ولقد كان يكفيه أن يدعو إلهه من دون الله ويلجأ إليه ويسأله بعض ما يرجوه، ليكون في عداد المشركين، لكنه أبى إلا الإيغال في الكفر والشرك، فصرف كل العبادة للعبد المخلوق، فقال:

فلذ به في كل ما تشتكي   فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به في كل ما ترتجي   فإنه المأمن والمعقل

وفي هذا دليل على أن شرك المخالف ومن شاكله من المخالفين، أعظم من شرك الأولين، وسيأتي ما يؤكده في الفصول التاليه، إن شاء الله.
* وحتى يكتمل عقد الموافقة والمطابقة لشرك الأولين، ها هو ذا يدعو صراحة إلى عبادة الأصنام واتخاذها آلهى من دون الله، لكن بصورة أخرى أعجب وأغرب من تلك الصورة الساذجة القديمة، و الحق أنها من أعجب ما وقفت عليه من بدع المخالفين، على كثرتها واختلافها وتباينها.

نعم، يوجد ما هو أشد منها كفراً، وأعظم خطراً، لكن هذه البدعة امتازت بغرابتها وسخافتها وشذوذها عن سائر البدع.
* أرادوا أن ينحتوا صنماً على صورة النبي r ، كما فعل المشركون بعظمائهم، فعجزوا عن تصوير وجهه الكريم وجسده الشريف، فانحطوا إلى النعال، ثم عجزوا كذلك، فأوحى إليهم شيطانهم أن يلجأوا إلى الخيال، ففعلوا..وكان المثال.
وما أدراك ما المثال ؟
هو خيال تخيله شيطان لهم لصورة تماثل النعل النبوي، ثم صيّر ذلك الخيال واقعاً وخطّه ورسمه، ثم جعل يدعوه ويستغيث به ويستعينه ويسترحمه.
فأراد المخالف أن يتحف هذه الأمة التي أصيبت في دينها وإيمانها، ونكبت في دمائها وأعراضها، وادلهمت بها الخطوب، وتوالت عليها المحن، وتداعت عليها الأمم، فدلهم على ذلك الحصن الحصين الذي ينجيهم من كل كرب ويمنع عنهم كل عدوان وظلم ويمنحهم الأمان والأمن.
فقد عقد المخالف فصلا ً من كتاب "الذخائر" بعنوان "اهتمام العلماء بمثال نعل النبي r"
قال فيه (ص263-266): (اهتم بذلك الأئمة الفحول وصنف فيها رسالة خاصة الشيخ المقري، وذكر لها أمثلة وكتب عنها كلمات جليلة مهمة، خلاصتها: اعلم أرشدني الله وإياك إلى سواء السبيل وأوردنا مع الرعيل الأول مناهل الرحيق والسلسبيل، أن جماعة من الأئمة المغاربة المقتدى بهم تعرضوا للمثال الطاهر وحسنه الباهر وأقروا بمشاهدته عين الناظر..).
إلى أن قال: (قال الإمام المقري: وقد بلغني عن بعض الأغمار، ممن هو كمثل الحمار، أنه
أنكر تصويري الأمثلة الشريفة ذات الظلال الوريفة، قائلا ً كيف تنهون عن الصور وأنتم
تفعلونها؟
فقلت لمن بلغني عنه ذلك: قل له وأنتم لم تتكلمون في الأمور التي تجهلونها ؟ وليس هذا من تلك الصور، لا في ورد ولا صدر..).
ثم قال: (ولا خفاء أن مثال النعل الشريف تصدر بإضافته إلى ذي الصدر، وخص لذلك برفعة الشأن والقدر، فعلا ً على البدر..وما المثال المكرم إلا وسيلة للقدم التي خص الله بأكمل الأوصاف

صاحبها r :
وما حب النعال شغفن قلبي ولكن حب من لبس النعالا
فأكرم بها من نعال، زكت بأطيب الفعال، وشرفت بالمختار وسمت، واتسمت من الفضائل
بما اتسمت، وحاكاها المثال بمحاسنه التي ارتسمت..).
ثم ختم فصل "النعال" بصورة لذلك (المثال) المزعوم، دبجها أبياتاً من الشعر قال فيها:
على رأس هذا الكون نعل محمد علت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى الطور موسى نودي اخلع وأحمد على القرب لم يؤمر بخلع نعاله
مثال حكى نعلا ً لأشرف مرسل تمنت مقام الترب منه الفراقد
ضرائرها الشبع السموات كلها غيارى وتيجان الملوك حواسد
مثال لنعل المصطفى ما له مثل لروحي به راح لعيني به كحل
فأكرم به تماثل نعل كريمة لها كل رأس ود لو أنه رجل
ولما رأيت الدهر قد حارب الورى جعلت لنفسي نعل سيده حصناً
تحصنت منه في بديع مثالها بسور منيع نلت في ظله الأمنا
إني خدمت مثال نعل المصطفى لأعيش في الدارين تحت ظلالها
سعد ابن مسعود بخدمة نعله وأنا السعيد بخدمتي لمثالها.
((((صورة مثال النعل)))
قلت: والأمر كما ترى، دعوة صريحة إلى الشرك وعبادة الأصنام و التماثيل، فقد أبى هذا المخالف أن تقتصر دعوته إلى عبادة
المخلوقين، على الدعاء والاستغاثة والرغبة والرجاء، وعلى اتخاذ قبورهم أوثاناً وقصدها بالحج والتعظيم، فأضاف إليها هذا الخيال المخترع في الذهن البليد،، فدعا الناس إلى عبادته من دون الله، إحياءً لسنة السامري: فاخرج لهم عجلا ً جسداً له خوار، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي.أفلا يرون ألا ّ يرجع إليهم قولا ً و لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً [طه:88-89].
* ولنا أن نتسأل، من أين له أن هذا (الخيال) الذهني مماثل لذلك النعل النبوي؟ إذ من المعلوم ضرورة أن الصورة المتخيلة يستحيل أن تماثل أصلها إلا بوجود ذلك الأصل واقعاً ماثلا ً لعين المتخيل، بحيث يقع نظره عليه ولو للحظة واحدة، ولا يمكن عقلا ً أن
يتصور الذهن صورة مماثلة لجسم ما بمجرد سماع أوصافه
ومعرفتها دون معاينة.

وغاية ما يمكن تحصيله في هذه الحالة هي صورة قريبة من الأ صل، أما المثلية فهي بعيدة المنال.
إذاً فزعمه بأنها مثال للنعل النبوي محض كذب وافتراء.
نعم هناك احتمال وارد أن يصادف (الخيال) الحقيقة ويكون الرسم موافقاً للنعل النبوي، لكنه ليس الاحتمال الأوحد، فهناك احتما لات كثيرة بعدد النعال الموجودة على ظهر الأرض، فالله أعلم أيها طابقه الخيال الموهوم.
فليت شعري، كيف لو طابقت نعل فرعون أو أبي جهل أو أبي لهب ، أو غيرهم من الكفار والمشركين والمجوس ؟
بل الناظر إلى الشكل الماثل أمامنا الآن يظن أنها صورة نعل هندية، فقد تكون مثالا ً مطابقاً لنعل عابد من عباد البقر الهندوس.
وأياً كان الأمر، فهو، والله، دليل واضح وعلامة بينة على مبلغ سفه هذا المخالف وأضرابه وضلالهم وغيهم وازدرائهم بأنفسهم وامتهانهم لها، ثم احتقارهم وسخريتهم بعامة الناس، إذ يسطرون مثل هذا الهذيان ويصيحون به على مرأى ومسمع.
* ومن هنا تعلم من الأحق بذلك الوصف الذي ورد في كلام المقري، ونقله المخالف مغتبطاً به، حيث قال: (وقد بلغني عن بعض الأغمار ممن هو كمثل الحمار أنه أنكر تصويري الأمثلة الشريفة..)؟!
* ولم يقتصر في دعوته إلى الشرك وعبادة المخلوق من دون الله على الدعاء والالتجاء، فحسب، بل عداه إلى بقية العبادات:
1- منها الصلاة: فقد ذكر المخالف ما يلزم زائر القبر من آداب، قا ل"شفاء الفؤاد" (ص189-190): (ومنها، أن يتوجه بعد ذلك، (أي بعد صلاة التحية)، إلى الضريح الشريف مستعيناً بالله في رعاية ا لأدب بهذا الموقف المنيف، فيقف بخضوع ووقار وذلة وانكسار غاض الطرف مكفوف الجوارح واضعاً يمينه على شماله كما في الص لاة).
وفي معرض حديثه عن زيارة قبور الأنبياء، قال "شفاء الفؤاد" (ص97): (فإذا جاء فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر و الفاقة والحاجة والاظطرار والخضوع، وليحضر قلبه وخاطره إليهم..) إلى أن قال: (وأما زيارة سيد الأولين والآخرين، صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر يزيد أضعافه، أعني في الانكسار و الذلة والمسكنة..).

وقال "شفاء الفؤاد"(ص208):
وقفنا على أعتاب فضلك سيدي لتقبيل ترب حبذا لك من ترب
وقال أيضاً "شفاء الفؤاد"(ص114):
نقبل الترب إجلالا ً لساكنه فكل موطىء أقدام مقر فم
قلت: فقد أشرك معبوده مع الله في الصلاة، التي هي عمود هذا الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين، وصرف لمعبوده من الصلاة أوسط أركانها وأعلاها: القيام والسجود والذلة والخضوع والخشوع وجمع القلب وحضور الخاطر، وأضاف إليها بعض سننها ومكملاتها، كغض البصر وكف الجوارح ووضع الأيمان على الشمائل.
2- ومنها: الحج.قال المخالف "شفاء الفؤاد" (ص131)في ذكر مناسك زيارة القبر الشريف: (ينبغي ضبط الزيارة بما ضبط به الأئمة الاستطاعة في الحج).
وقال أيضاً: (فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات) إلى أن قال: (فقد أتم الله للحبيب المضاهاة بكل الحالات) "شفاء الفؤاد" (131-132).
قلت: وهذا - كما رأيت - صريح الشرك، إذ سوى بين حج بيت المخلوق وحج بيت
الخالق، بل صرح بالمضاهاة بكل الحالات، مؤكداً به الشرك و التسوية.
3- ومنها: إدامة النظر إلى القبة والقبر، وهي من عجائب العبادات التي اخترعها المخالف، إذ قال "شفاء الفؤاد" (ص194) ما نصه: "ويديم النظر إلى الحجرة الشريفة فإنه عبادة، قياساً على الكعبة، فإذا كان خارج المسجد أدام النظر إلى قبتها مع المهابة والحضور).
* * *

فصل: ..بل هم أضل

اعلم أن المشركين الأولين كانوا يشركون مع الله في العبادة، بدعاء الأصنام والأنداد والأوثان ورجائهم والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله بهم،كما قال تعالى: والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [الزمر:3]، وقال: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله [يونس:18].

* لكنهم لم يكونوا مدمنين على تلك الحال، فقد كانوا يخلصون لله الدعاء والالتجاء في بعض الأحوال.

قال تعالى: فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون [العنكبوت:65].

وقال: قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين.قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون [الأنعام:63-64]

وقال عز وجل: وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور [لقمان:32].

قال ابن كثير "تفسير ابن كثير" (452/3): (موج كالظلل أي ك الجبال والغمام).

وقال الشوكاني: (دعوا الله مخلصين له الدين أي دعوا الله وحده لا يعولون على غيره في خلاصهم لأنهم يعلمون أنه لا يضر و لا ينفع سواه، ولكنه تغلب على طبائعهم العادات وتقليد الأموات، فإذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحدانية الله وأخلصوا دينهم طلباً للخلاص والسلامة مما وقعوا فيه. فلما نجاهم إلى البر صاروا على قسمين: فقسم (مقتصد) أي موف بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين له باق على ذلك بعد أن نجاه الله من هول البحر وأخرجه إلى البر سالماً.

قال الحسن: معنى مقتصد، مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد: مقتصد في القول مضمر للكفر.

والأولى ما ذكرناه، ويكون في الكلام حذف، والتقدير: فمنهم مقتصد ومنهم كافر، ويدل على هذا المحذوف قوله: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور الختر: أسوأ الغدر وأقبحه، والكفور: عظيم

الكفر بنعم الله سبحانه) انتهى ملخصاً "فتح القدير" (4/244-245).

قلت: فهذا كان حال المشركين السابقين في عبادتهم للآلهة من دون الله، يعبدونها مع الله في الرخاء، توسلاً بها واستشفاعاً إليه ، وينسونها إذا اشتد بهم البلاء، ويصرفون وجوههم عنها إليه، ويخلصون له في العبادة والدعاء والرجاء.

وقد سبق بيان موافقة المخالف لأولئك المشركين في أنواع العبادة التي كانوا يصرفونها لأندادهم وأوثانهم وأصنامهم، فهل اكتفى بتلك الموافقة والمطابقة؟

كلا، بل زاد عليهم في الشرك والكفر وأربى، وإليك البيان:

* قال المخالف:

توجه رسول الله في كل حاجة   لنا ومهم في المعاش وفي القلب

* وقال:

عليك سلام الله أنت ملاذنا   لى اليسر والإعسار والسهل والصعب

قلت: فلم يترك لله حاجة من الحاجات ولا مهمة من المهمات يدعوه فيها ويرغب،
إذ صرف دعاءه ورجاءه في شأنه كله لإلهه ومعبوده من دون الرب !

* وقال المخالف:

يا غياث الخلق يا ذا الفضل والجود   والإحسان في بحر وبر

وقال:

فلأنت في الدنيا وفي الأخرى وفي   كل المواطن عدتي وندائي

وقال:

واعطف علي بعفو منك يشملني   فإني عنك يا مولاي لم أحد

قلت: وهذا عين الكفر والضلال، فقد صرف لمعبوده من دون الله دعءه ورجاءه في كل الأوقات، ولم يتخذه وسيلة إلى الله وشفيعاً عنده فحسب، بل جعل معبوده من دون الله هو الأصل فوحده بـ القصد والطلب، ولم يكن كذلك شرك الأولين، بل كانوا يتخذون الأ نداد من دون الله لتقربهم هي إليه، فهو الإله الأكبر، أو (إله الآلهة) كما كانوا يصفونه سبحانه.وقد كانوا يعبدونه ويتقربون إليه بأنواع القربات مما ورثوه من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام، وكانوا يخلصون له العبادة في الشدة ويجأرون إليه بالدعاء، ويشركون معه آلهتهم في وقت الأمن والرخاء.

أما المخالف فقد صرح في أكثر من موضع من كتابيه بإخلاص العبادة للمخلوق وحده دون الخالق، فهو يسأله كل حاجاته، كما قال: (توجه رسول الله في كل حاجة)، وكقوله: (ولذ به من كل ما تشتكي) ويدعوه في كل أوقاته، كما قال: (يا ذا الفضل والجود والإ حسان في بحر وبر)، وكما قال: (أنت ملاذنا لدى اليسر والإعسار و السهل والصعب)، وكقوله: (فلأنت في الدنيا وفي الأخرى وفي كل المواطن عدتي وندائي).

وصرح أكثر من ذلك فقال: (عجل بإذهاب الذي أشتكي فإن توقفت فمن ذا أسأل)؟

وقال: (فإنني عنك يا مولاي لم أحد) وقال: (هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له إلا جنابك).

والجامع لهذه المعاني كلها كلمة واحدة هي (لا إله إلا أنت) !!

قلت: فأي الفريقين أحق بالكفر والشرك والشقاق، آلذين عبدوا الآ لهة وتقربوا إليها بالدعاء والالتجاء، لتقربهم هي إلى الله، في حال الرخاء، ووحدوا خالقهم وأخلصوا له
الدين ونسوا الآلهة في حال الكرب وشدة الغم حين تعود إليهم الفطرة وتذهب عنهم السكرة
فيقولون: لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ؟..

أم الذي أخلص الدعاء والرجاء لإلهه ومعبوده من دون الله، وصرف إليه قلبه ووجّه إليه وجهه وقصده في كل وقت وفي كل حين؟! نبئوني بعلم إن كنتم صادقين .

* ويقول المخالف "شفاء الفؤاد" (ص205):

بذلي بإفلاسي بفقري بفاقتي إليك رسول الله أصبحت أهرب

ويقول "شفاء الفؤاد"(ص213):

فأقل عثار عُبيدك الداعي الذي يرجوك إذ راجيك غير مخيب

واكتب له ولوالديه براءة من حر نار جهنم المتلهب

واقمع بحولك باغضيه وكل من يؤذيه من متمرد متعصب

واشفع له ولمن يليه وقم بهم في كل حال يا شفيع المذنب

قلت: وهذا تأكيد منه وإصرار على تماديه في الضلال والشرك و الكفر إذ يصرح هذا المخالف بعبوديته الخالصة لإلهه صاحب القبر، فيسأله العفو والنجاة من النار له ولوالديه، وأن يقمع بحوله باغضيه ، ويتوسل في دعائه وندائه واستغاثته بإظهار الذلة والعبودية و

الفقر !!
أما سمعته يقول (عُبيدك)؟! هكذا، بأسلوب التصغير، مبالغة منه في العبودية والتحقير، فطغى به وزاد على عبدة الأصنام والأثان والأ نداد، الذين كانوا يسمون: عبد العزى
وعبد الكعبة وعبد مناة وعبد المسيح.
وأوضح منه لبيان المقصود، إضفاؤه صفات الربوبية والألوهية على العبد المخلوق،
إذ سأله ما هو من خصائص الرب عز وجل، الذي يملك وحده العفو عن الذنب ومغفرة العيوب، لا يملكه ملك مقرب ولا نبي مرسل.
وتأكيداً لما سبق بيانه وتقريره من أن شرك المخالف أشد وأخطر، وكفره أعظم وأكبر من شرك الأولين وكفرهم، أسوق إليك هذا الدليل:
* في معرض كلامه عن مناسك زيارة القبر النبوي، ذكر المخالف جملة من الآداب التي ينبغي الإتيان بها على من أراد الحج والعمرة إلى القبر النبوي، جاء فيها:
1- (إخلاص النية فينوي التقرب بالزيارة وينوي معها التقرب بشد الرحل للمسجد النبوي والصلاة فيه).
2- (إذا دنا من حرم المدينة الشريفة وأبصر رباها وأعلامها فليزدد خضوعاً وخشوعاً ويستبشر بالهنا وبلوغ المنى).
3- ويسن له (الغسل لدخول المدينة ولبس أنظف ثيابه).
4- و (إذا شارف المدينة الشريفة وتراءت له قبة الحجرة المنيفة فليستحضر عظمتها وتفضيلها).
5- و (يقدم صدقة بين يدي نجواه).
6- (فإذا أراد الدخول - (إلى المسجد) - يقف يسيراً كالمستأذن كما يفعله من يدخل على العظماء).
7- (ثم يتوجه للروضة الشريفة خاشعاً غاضاً طرفه غير مشغول بـ النظر إلى شيء من زينة المسجد وغيره، مع الهيبة والوقار و الخشية والانكسار والخضوع والافتقار..فيصلي التحية ركعتين خفيفتين يقرأ فيها قل يا أيها الكافرون والإخلاص).
8- (ومحل تقديم التحية إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف، فإن كان: استحبت الزيارة أولا ً كما قال بعضهم.ورخص بعض المالكية في تقديم الزيارة على الصلاة).

9- و (يتوجه بعد ذلك إلى الضريح الشريف..فيقف بخضوع ووقار وذلة وانكسار غاض الطرف مكفوف الجوارح وضعاً يمينه على شماله كما في الصلاة).
10- (ولا يستدبر القبر المقدس في الصلاة ولا في غيرها).
11- و (لا يمر بالقبر الشريف ولو من خارج المسجد حتى يقف ويسلم).
12- (ويديم النظر إلى الحجرة الشريفة فإنه عبادة قياساً على الكعبة، فإذا كان خارج المسجد أدام النظر إلى قبتها مع المهابة و الحضور).
13- (ولا يركب بها - (يعني المدينة) - دابة مهما قدر على المشيء ويزم نفسه مدة إقامته بزمام الخشية والتعظيم ويخفض جناحه ويغض صوته).
14- (إذا اختار الرجوع فليودع المسجد الشريف بركعتين، يأتي القبر الشريف ويسلم ويدعو ويقول: نسألك يا رسول الله أن تسأل الله أن لا يقطع آثارنا من زيارتك..).
15- و (يتصدق بشيء مع خروجه..وليحذر كل الحذر من مقارفة الذنوب).
* وقال في موضع آخر"شفاء الفؤاد " (ص131-132): (فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات: الشفاعة والبشرى بِالموت على الإسلام، وذلك هو المغفرة الحاصلة للواقفين..فقد أتم الله للحبيب المضاهاة بكل الحالات، وذلك حاضر فيه بالنص دون غيره وإن قيس به).
قلت: وقد اشتمل كلام المخالف - كما رأيت - على جملة من العظائم المنكرة، التي هي من الشرك الواضح والكفر الصريح الذي لا يقبل التأويل بحال، حيث قال (فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات) وأكده بقوله (فقد أتم الله للحبيب المضاهاة بكل الحالات)، وكذب المخالف، فهو الذي ضاهى بحج بيت الله الحج إلى القبر، وليس الله، وهو الذي سوى بين المنسكين في كل شيء ابتداء بالاغتسال عند الدخول وتحية القدوم وانتهاء بالوداع.بل لم يكتف بالمضاهاة حتى عداها إلى التفضيل.
* فقد قال ما نصه "شفاء الفؤاد"(ص35): (قال الفاضل ابن حجر رحمه الله: ولقد رأيت أكثر العوام إذا عاد حاجاً ولم يزر النبي r

يعدون أن ذلك نقص وأي نقص وعار وأي عار، ويسلخصون عنه اسم الحاج الذي هو أشرف الأوصاف عندهم ويصير ذلك مثلة فيهم إلى أن يموت بل وفي أولاده بعد موته.

ولقد اشتد من تعييرهم وتنقيصهم لمن رجع من غير زيارة ما ألجأه إلى الانقطاع في بيته وعدم الاجتماع بأحد إلى أن خرج مع الحجاج في العام الثاني فحج وزار ورجع إلى بلده فرحاً مسروراً بزوال تلك الوصمة الشنيعة عنه، فتأمل ذلك من العوام تجد أن عظمته r وعظمة زيارته وقرت في قلوبهم واستحكمت في طباعهم..حتى إنهم يتداينون الديون البليغة مع حسن ظنهم ويوفي الله سبحانه وتعالى عنهم) اهـ.

قلت: ومعلوم - قطعاً - أن الحاج إلى القبر النبوي لا يشترط عليه أن يحج البيت الحرام مع حجة القبر المعظم لأن هذا الحج مشروع طوال العام وذاك موقوت بزمان معين، فهذا وجه من وجوه التفضيل بين الحجتين واضح بين.

الوجه الثاني: أن الله عز وجل أوجب الحج إلى بيته الحرام على من استطاع إليه سبيلا ً، وأما غير المستطيع بنفسه أو بغيره فلا يجب عليه الحج اتفاقاً.

وقد ذكر أهل العلم أن من كان له عيال فإنه يقدم النفقة عليهم على الحج لأن النفقة على الفور، ورجح بعضهم تقديم النكاح على الحج لمن خشي العنت[1].

أما التداين للحج فلم يستحبه أهل العلم - فيما علمت - بل قدموا قضاء الدين الحال على حجة الفرض.

وهذا المخالف يقول (حتى إنهم يتداينون الديون البليغة) من أجل حج القبر النبوي!!!

فلم يبق شك أو ريب في تفضيله هذا الحج على حج بيت الله الحرام الذي هو فريضة من
فرائض الإسلام وركن من أركانه.

* وإن تعجب، فعجب قوله: (قال الفاضل ابن حجر - رحمه الله -: ولقد رأيت أكثر العوام إذا عاد حاجاً ولم يزر النبي r يعدون أن ذلك نقص وأي نقص وعار وأي عار، ويسلخصون عنه اسم الحاج..).

قلت: وحسب المخالف وأضرابه عاراً ونقصاً أن يكون دليلهم على ذلك التفضيل، فعل (أكثر العوام)!!

* ومن المنكرات الشنيعة الواردة في مقال المخالف، تشبيهه الوقوف أمام القبر النبوي
عند الزيارة بالوقوف بين يدي الله سبحانه في الصلاة حيث قال: (فيقف بخضوع ووقار وذلة وانكسار غاض الطرف مكفوف الجوارح وضعاً يمينه على شماله كما في الصلاة).

قلت: وليس بعد هذا التصريح بالشرك من تصريح.

* وقوله أيضاً: (يقدم صدقة بين يدي نجواه).

قلت: وهذا نذر وقربان للقبر، إذ الصدقة هنا من أجل القبر المعبود من دون الله، وهو من جنس ما كان المشركون يفعلونه عند أوثانهم وأصنامهم، يتقربون إليها بأنواع النذور والقرابين.

فإن قيل: أليس الله قد أمر المؤمنين في كتابه بتقديم صدقة بين يدي نجواهم للرسول r فقال: يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة، ذلك خير لكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم [المجادلة:12].

فالجواب: إن هذا الحكم منسوخ، كما قال المفسرون، ودليل النسخ الآية التالية، وهي قوله
تعالى: أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون [المجادلة:13].

قال ابن كثير رحمه الله (326-327/4): (فنسخ وجوب ذلك عنهم) ثم ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: (كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا).ثم قال:(وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: فقدموا بين يدي نجواكم صدقة وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله r حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام، فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ..الآية فوسع الله عليهم
ولم يضيق).

قلت: فإذا تقرر أن الحكم قد نسخ، فإن العمل به أو إيجابه بعد نسخه هو من الشرع الذي لم يأذن له الله، قال الله عز وجل: أم

لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
[الشورى:21].
وهو من الكذب على الله والقول عليه بغير علم، وقد قال تعالى:
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون [الأعراف:33].



ثانياً: الشرك في الربوبية

قد ذكرنا من قبل أن شرك الأولين كان في الألوهية والعبادة، وأما الربوبية، وهي الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق المدبر للأمر المتصرف في الكون علويه وسفليه، وأن بيده مقاليد كل شيء وأنه لا يجير ولا يجار عليه، فكانوا مقرين بها، كما أخبر الله عنهم في أكثر من موضع في كتابه، فقال تعالى: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقال: قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون.سيقولون لله، قل فأنى تسحرون [المؤمنون:86-89].

وقال تعالى: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون [يوسف:106].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون).وقال مجاهد رحمه الله: (إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره) "تفسير ابن جرير" (286-287/16).

قلت: فكان يكفي المخالف أن يقتصر على شرك العبادة فيكون في عداد أولئك المشركين، إلا أنه أبى واستكبر، وأصر على الا نحطاط في دركات أبعد في الشرك والكفر فأضفى على النبي r خصائص الرب العُلَى، ونازعه في أفعاله وأسمائه الحسنى.ومن أمثلة ذلك:

1- قوله "الذخائر" (ص233) في وصف النبي r: (الخليفة الأكبر الممد لكل موجود).

وقوله "شفاء الفؤاد" (ص113): (السلام عليك يا معنى الوجود، السلام عليك يا منبع الكرم والجود).

وقوله "شفاء الفؤاد" (ص124): (تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحبيبهم المجتبى r، وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية).

2- ويقول "شفاء الفؤاد" (ص212):

يا من يجود على الوجود بأنعم خضر تعم عموم صَوْب الصّيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم وربيعهم في كل عام مجدب
ويقول "شفاء الفؤاد"(ص230):
يا غياث الخلق يا ذا الفضل والجود والإحسان في بحر وبر
ويقول "شفاؤ الفؤاد" (ص225):
أنت الكريم الذي إنعامه أبداً للوفد من كفه الفياض مبذول
ويقول "شفاء الفؤاد" (ص205):
براه جلال الحق للخلق رحمة فكل الورى في بره يتقلب

قلت: فهذه الأوصاف المذكورة كلها من خصائص الرب سبحانه وتعالى، فهو الكريم المتفضل على الوجود، كما أخبر سبحانه عن نفسه فقال عز من قائل: وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون [النحل:53].

وقال: الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار.وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار.وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار [إبراهيم:32-34].

وقال: خلق السموات والأرض بالحق، تعالى عما يشركون.خلق الإ نسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين.والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون إلى قوله: هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون.ينبت لكم به الزرع والزيتون و النخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون إلى قوله: وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون إلى قوله: أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون.وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم [النحل:3-18].

وقد تكرر في القرآن ذكر نعم الله عز وجل علعباده بالخلق والإ يجاد والرزق في البر والبحر، وفصلها سبحانه في مواضع كثر، فذكر إنزال المطر وإنبات النبات وإرسال الرياح لواقح وخلق الأنعام وتسخيرها للمطعم والملبس والمركب، وسخر البحار والأنهار كذلك للمطعم والمشرب والحلية والمركب، إلى غير ذلك من النعم الكثيرة

التي لا يحصيها إلا رب البرية.
وأعظم هذه النعم على الإطلاق نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، وهي التي اختص بها عباده الذين أخبر عنهم بقوله:
ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [النساء:69].
فبين سبحانه في هذه الآية أصناف المنعم عليهم، وأولهم الأنبياء عليهم السلام، الذين جمع اللّه لهم مع نعمة الهداية نعمة أجل وهي نعمة النبوة.
قال سبحانه وتعالى عن عبده ورسوله عيسى عليه السلام: إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا ً لبني إسرائيل [الزخرف:59].
قال القرطبي- رحمه اللّه -: (أي ما عيسى إلا عبد أنعم اللّه عليه بـ النبوة وجعله مثلا ً لبني إسرائيل، أي آية وعبرة يستدل بها على قدرة اللّه تعالى، فإن عيسى كان من غير أب..) "تفسير القرطبي" (104/16).
وقال سبحانه لنبيه محمد r : فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن و لا مجنون [الطور: 29].
قال القرطبي - رحمه اللّه -: (فما أنت بنعمة ربك يعني برسالة ربك بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي) "تفسير القرطبي" (7/17).
إذاً: فالقول بأن النعم من عند غير اللّه، ونسبتها إلى نبينا محمد r أو إلى أحد من الخلق كفر وتكذيب بالقرآن وإنكار للمعلوم بالضرورة من الفطرة والإيمان، وقول على اللّه بغير علم، إذ هو المنعم على الخلق كلهم بسائر النعم ظاهرها وباطنها، وهو وحده المتفضل على الوجود، الغني عن كل موجود، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه:
يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى اللّه، واللّه هو الغني الحميد.إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد.زما ذلك على اللّه بعزيز [فاطر:15-17].
* وقد يسوق اللّه عز وجل بعض نعمه على ايدي الخلق ويجعلهم سبباً في إيصالها إلى من يشاء فيصح حينئذ أن تنسب إلى السبب كقوله تعالى لنبيه محمد r: وإذ تقول للذي أنعم اللّه عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك [الأحزاب:37].حيث أنعم عليه النبي r بـ العتق من الرق وآواه إليه وأحسن إليه إحسان الوالد لولده وكان قد

تبناه فكان يُدعى زيد بن محمد ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله [الأحزاب:5].
وقال تعالى: وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأ على [الليل:19-20]، (أي ليس يتصدق ليجازي على نعمة، إنما يبتغي وجه ربه الأعلى) كذا قال القرطبي (88/20).
فنسبة بعض نعم الرب إلى خلقه، نسبة المسبّبات إلى أسبابها، وليس ثمة حرج في ذلك إذا اعتقد أن الله هو الذي قدرها ويسرها، ولولاه سبحانه لما حدثت نعمة ولا حصل إحسان إذ هو الذي خلق السبب والمسبب.
يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - "مجموع الفتاوى" (92/1) في معرض حديثه عن الشرك في الربوبية : (فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل.فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الناقع، أو المعز أو المذل غيره، فقد أشرك بربوبيته.
ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك فلينظر إلى المعطي الأول مثلا ً فيشكره على
ما أولاه من النعم، وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافيه عليه ، لقوله عليه السلام:
من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم يتجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه [1] لأن النعم كلها لله تعالى، كما قال تعالى: وما بكم من نعمة فمن الله [النحل: 53] وقال تعالى: كلا ً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك [الإسراء:20] فالله هو المعطي
على الحقيقة فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها وساقها إلى من يشاء من عباده، فالمعطي
هو الذي أعطاه وحرك قلبه لعطاء غيره.فهو الأول والآخر).
3- ويقول المخالف "الذخائر" (ص158):

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها يعلم هذا كل من يعقل

قلت: وهذا شرك آخر في الربوبية، إذ ما الذي أبقاه للرحمن من

صفة الرحمة إذا كان
محمدr أصلاً لكل رحمة في ملكوت الله وملكه تصعد أو تنزل؟!
كلا.بل ما من رحمة في الأرض ولا في السماء ولا في بر ولا في بحر إلا من عند الرحيم الرحمن الكريم المنان.قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء [الأعراف:156]، وجاء في دعاء ملائكته: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً [غافر: 7].
وقال سبحانه وربك الغني ذو الرحمة [الأنعام:133]، وقال: وربك الغفور ذو الرحمة [الكهف:58].
وقد تواتر ذكر رحمة الله في القرآن وشمولها للعالمين في كل وقت وفي كل حين، فمن آثار رحمته إرسال الرياح وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته [الفرقان:48]، وإنزال المطر وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته [الشورى:28]، وإحياء الأرض فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها [الروم:50].
ومن رحمته إنزال القرآن ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين [النحل:89].
والنبوة من رحمته، يختص بها من يشاء من عباده، كما قال سبحانه عن عبده نوح عليه السلام: قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده [هود:28]
قال ابن جرير - رحمه الله - (298/15): (ورزقني منه التوفيق و النبوة والحكمة).
وقال عن عبده صالح عليه السلام: قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته [هود:63].
قال ابن جرير - رحمه الله - (370/15): (وأتاني منه النبوة و الحكمة والإسلام).
وأخبر سبحانه عن تعنت المشركين واعتراضهم على اختيار الرسول r من دونهم فقالوا: لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى رداً عليهم: أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمت ربك خير مما يجمعون [الزخرف:31-32].

قال القرطبي- رحمه الله - (83/16): (أهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة، فيضعونها حيث شاءوا؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا أي أفقرنا قوماً وأغنينا قوماً، فإذا لم يكل[1] أمر الدنيا إليهم فكيف يفوض أمر النبوة إليهم).

قلت: ولا شك أن هداية الخلق إلي دين الإسلام وتثبيتهم عليه حتى الممات ثم إدخالهم الجنة من أعظم نعم الله علىالعباد ورحمته بهم، ومن ثم كانت بعثة الأنبياء رحمة لأقوامهم
لأنهم سبب هدايتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ولما كانت بعثة النبي محمد r للناس كافة، وصفه الله بقوله: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [الأنبياء:107].

قال ابن عباس: (كان محمد r رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن
لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق) اهـ "تفسير القرطبي" (350/11).

فإرساله r رحمة من عند الله على العالمين من الجن والإنس لعموم رسالته إليهم،
كما أنها رحمة وإنعام وتشريف وإكرام للنبي عليه الصلاة والسلام حيث اصطفاه لرسالته الخاتمة وشريعته الناسخة لما سبقها من الشرائع.

* ومن رحمته كذلك، أن جعل هذا النبي الخاتم رؤوفاً رحيماً بهم وجبله على هاتين الصفتين كما قال سبحانه وتعالى ممتناً على عباده المؤمنين: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم [التوبة:128].

وقال: فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك
[آل عمران:159].

قال ابن رجرير- رحمه الله - (341/7): (فتأويل الكلام: فبرحمة الله، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن من أصحابك لنت لهم
لتـُبّاعك وأصحابك، فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك

ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم،
فبرحمة من الله لنت لهم) اهـ.
إذاً فما كانت من رحمة النبي r إلا من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وكذا كانت بعثته ونبوته، فهو سبحانه الذي أوجدها وقدرها وساقها إلى من شاء من عباده، كما قدر غيرها من أسباب الرحمة مما تقدم ذكره، فآثار رحمته جل وعلا على عباده ظاهرة في كل حـ ال.
وكما قيل في مسألة الإنعام والتفضيل والإحسان، يقال كذلك في مسألة الرحمة،إن موجدها ومسببها ومقدرها هو الله وحده لا شريك له، فإليه تنسب أصلا ً، كما تنسب إلى من أجرى الله على يديه نعمة أو رحمة، على أنه سبب من الأسباب، تبعاً.
ومن هنا تعلم ضلال هذا المخالف الذي وصف النبي r بأنه وراء كل رحمة (تصعد
أو تنزل، من كل ما يختص أو يشمل) إذ هذا الوصف لا يليق إلا بـ الرحمن الرحيم، فكل رحمة في الكون فهي جزء من رحمته كما فصل ذلك في القرآن الكريم فيما تقدم من آيات بينات، وكما فصله النبي r في أحاديث كثيرة ووقائع متعددة ومنها:
* حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي r أنه قال: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي [(1)].
* وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله r يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً.فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبة [(2)].
* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي r سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا النبي r : أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. قال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها [(1)].
قال الحافظ: (وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بـالله وحده، وأن كل من فُرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها فـالله سبحانه وتعالى أرحم منه، فليقصد العاقل

لحاجته من هو أشد له رحمة) اهـ."فتح الباري" (431/10).
قلت: وهو كلام نفيس جداً فعض عليه بالنواجذ.
وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي r قال: سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه
لا يُدخل أحداً الجنة عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة [2].
ويقول المخالف أيضاً "الذخائر" (ص223)، في معرض حديثه عن خصائص النبي r: (وكان يُقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملّكه الأرض كلها، وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى r) .
قلت: وهذا من الشرك الصريح في الربوبية، إذ أن الذي يملك الأرض ومن عليها هو الله وحده لا أحد سواه، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر.
قال تعالى: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة [الزمر:10]، وقال:
يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون [العنكبوت:56]، وقال على لسان عبده صالح عليه السلام: ويا قوم هذه ناقة الله اكم آية فذروها تأكل من أرض الله [هود:64]، وقال تعالى: قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده [الأعراف:128].
* وقد تواترت آيات الذكر الحكيم على تقرير ملكية الله تعالى للسموات والأرض
وما بينهما، في أكثر من ثلاثين موضعاً، كقوله تعالى: ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض [البقرة:284]، وقوله: ولله ميراث السموات والأرض [آل عمران:180]، وقوله: قل لمن ما في السموات والأرض قل لله [الأنعام:12].
* وكقوله: له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى [طه:6]، وقوله: له مقاليد السموات والأرض [الزمر:63]، وقوله: ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون [المنافقون:7].
وقد رد الله عز وجل بهذه الآية على المنافقين القائلين: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فلو كان للنبي r شرك في الأرض لناسب ذكره في هذا الموضع، إعلاماً لقدر نبيه r وتبكيتاً

لعدوه الذي أراد بمقالته تلك ازدراء النبي r ومن معه من فقراء أصحابه وتعييرهم بالفقر والحاجة.
وقال تعالى: قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في االسموات
ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له من ظهير [سبأ:22].
قال ابن كثير - رحمه الله -: (بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأ حد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي من الآلهة التي عبدت من دونه: لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض كما قال تبارك وتعالى: والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير [فاطر:13].
وقوله تعالى: وما لهم فيهما من شرك أي لا يملكون شيئاً استقلا لا ً ولا على سبيل الشركة، وما له منهم من ظهير أي ليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه) [(1)]اهـ.
قلت: فهذه الآية من أوضح البيان على المطلوب، إذ صرحت بنفي ملكية شيء في السموات والأرض ولو كان مثقال ذرة، عن كل الأ نداد المعبودة من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين لا استق لالا ً ولا على سبيل الشركة.
إذاً فمن زعم أن أحداً من الخلق يملك ذرة في هذا الكون مع الخالق، فقد أشرك شركاً بيناً، وافترى إثماً عظيماً، وكذب بالقرآن تكذيباً مبيناً، فكيف بمن زعم أن الأرض كلها ملك خالص للمخلوق لا شركة فيه للخالق ؟!!
وحسب هذا القائل إثماً وظلماً أن يكفر بما آمن به عبدة الأوثان في الجاهلية الأولى، الذين شهد لهم القرآن إقرارهم بربوبية الخالق وملكيته التامة للأرض ومن فيها.
قال الله تعالى: قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون.سيقولون لله.قل أفلا تذكرون [المؤمنون:84-85].
قال ابن كثير - رحمه الله -: (يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بـ الخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، ولهذا

قال لرسوله محمد r أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون شيئاً ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال: قل لمن الأرض ومن فيها أي من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات و الثمرات وسائر صنوف المخلوقات إن كنتم تعلمون.سيقولون لله أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك قل أفلا تذكرون أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره)[1] اهـ.

فظهر بهذا أن المخالف ومن على شاكلته من دعاة السوء أشد كفراً وأعظم شركاً من المشركين الأولين.

* وإذا كان الخالق سبحانه قد نزه نفسه عن الشريك في أمر حقير ، وهي أرض الدنيا الفانية، التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فكيف يُملك أرض الجنة العظيمة الخالدة، مستقر رحمته ودار كرامته، لأحد من خلقه؟!

فقول المخالف: إن النبي r يملك حق الإقطاع في أرض الجنة، ظاهر السقوط، مع ما فيه
من الكفر والكذب والتكذيب لنصوص الوحي المصرحة بملكية الخالق وحده وأحقيته في التصرف بما يشاء في الجنة وما فيها، لا شريك له في شيء من ذلك قال تعالى: تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً [مريم:63].

وأخبر سبحانه عن أصحاب الجنة قولهم: وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين [الزمر:74].

قال القرطبي - رحمه الله -: (قيل إنهم ورثوا الأرض التي كانت تكون لأهل النار لو كانوا مؤمنين) اهـ [1].

وجاء في دعاء خليل الرحمن عليه السلام قوله: واجعلني من ورثة جنة النعيم
[الشعراء:85].

وقال سبحانه: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي [الفجر:30].

والأدلة من القرآن على ملكية الله الخالصة للجنة أجل من أن تحصر، ومن السنة كذلك.

* فقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار فول الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وجاء في آخر الحديث قول النبيr: وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشيء لها خلقاً [(2)].

* وجاء في حديث أبي هريرة في قصة آخر أهل الجنة دخولاً قول الرجل: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ، فيتمنى، حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل: من كذا وكذا أقبل يذكره ربه، حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك مثل ذلك ومثله معه [(1)].

قلت: فالأمر كله بيد الله، فهو سبحانه الذي يتصرف في الجنة كما يشاء، وهو الذي يقطع فيها من أرضها ونعيمها كما يشاء، فلو كان غيره من الخلق يملك حق الإقطاع ولو في جزء يسير لما صح أن يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولما كان له أن يقول لذلك الرجل تمنّ، ثم يزيده ربه أضعافاً مما سأل،إذ قد يتعارض هذا مع شريكه في الملك والتصرف، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

* ومثله حديث أبي سعيد الخدري حيث جاء فيه: فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار:بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا إلى أن قال:
فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه [(2)].

* وقد أخبر النبي r في حديث الرؤيا الطويل حين أتاه في المنام آتيان فأخذاه فانطلقا به حتى رأى قصراً مثل الربابة البيضاء، فقالا له: هذا منزلك.فقال النبي r : قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله [(1)] الحديث.

قلت: وفي منعه r من دخول قصره ومنزله في الجنة مع تمنيه

ورغبته، دليل آخر يؤكد كذب دعوى المخالف وزعمه أنه r يملك حق الإقطاع في الجنة للغير، كيف وهو لم يعلم
أصلاً أن ذلك منزله حتى أُخبِرَ؟!
* وفي ترغيب النبي r وحثه أمته على أن يسألوا الله عز وجل له الوسيلة والفضيلة دليل آخر أيضاً على اختصاص الله وحده دون خلقه بكامل نعيم الجنة وثوابها.
وبعد فالأمر، والله، أوضح من أن يحتاج إلى إيضاح وأبين من أن يفتقر إلى بيان.
وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
5- ومن الخصائص النبوية المزعومة قول المخالف: (وأوتي علم كل شيء حتى الروح والخمس التي في آية: إن الله عنده علم الساعة) [2].
وقال في موضع آخر: (إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهداته لأمته ومعرفة أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عندي جلي لا خفاء فيه) [3].
قلت: وهذا شرك واضح جلي لا خفاء فيه، ومنازعة صريحة للرب سبحانه في أخص صفاته، صفة العلم، حيث سوى علم المخلوق بعلم الخالق افتراء عليه، وتكذيباً لكلامه.
قال عز وجل: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير [لقمان:34].
قلت: فهذه مفاتح الغيب التي اختص الله بعلمها دون خلقه كما قال: وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات
الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين [الأنعام:59].
فقوله سبحانه: لا يعلمها إلا هو صريح في نفي علمها عن أحد سواه لا ملك ولا رسول.
وقال سبحانه لعبده ورسوله محمد r : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون [النمل:65].
وأصرح منها في حق النبي r قول الحق سبحانه: قل لا أقول

لكم عندي خزائن الله
ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك.إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون [الأنعام:50].
وكذلك قوله تعالى: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء.إن أنا إ لا نذير وبشير لقوم يؤمنون [الأعراف:188].
وأما عن الروح فاسمع إلى القول الفصل إذ يقول الرب عز وجل: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إ لا قليلا ً [الإسراء:85].
وقال عن الساعة: يسألونك عن الساعة أيان مرساها.قل إنما علمها عند ربي.لا يجليها لوقتها إلا هو.ثقلت في السموات والأرض. لا تأتيكم إلا بغتة.يسألونك كأنك حفى عنها.قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون [الأعراف:187].
وقال أيضاً: يسألك الناس عن الساعة، قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً [الأحزاب:163].
ويقول: يسألونك عن الساعة أيان مرساها.فيم أنت من ذكراها.إلى ربك منتهاها.
إنما أنت منذر من يخشها [النازعات:42-45].
فالله عز وجل يقرر أن عبده ورسوله محمداً r لا يعلم وقت الساعة ولا الروح ويأمره أن يخبر الناس جميعاً بذلك، ثم يأتي هذا التائه ليُكذب بآيات الله ويعترض على أمره وحكمه!
وقد نفى الله العلم عن الخلق جميعاً إلا ما علمهم هو سبحانه، فقال: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأ رض [البقرة:255].
وقال: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون [النحل:78]، وقال: علم الإنسان ما لم يعلم [العلق:5].
حتى الملائكة المقربون لا يعلمون إلا ما علمهم الله: وعلم آدم الأ سماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.قالوا سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم [البقرة:31-32].

وقال في شأن النبي محمد r : وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً [النساء:113].
وقال: وما ينطق عن الهوى.إن هو إلا وحي يوحى.علمه شديد القوى [النجم:3-5].
وقد يطلع الله رسله على شيء من الغيب ليكون حجة لهم ودليلا ً على صدق نبوتهم، قال تعالى: قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً.عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً.ليعلم أن قد
أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً [الجن:25-28].
قال ابن الجوزي - رحمه الله -: (قل إن أدري أي ما أدري. أقريب ما توعدون من العذاب أم يجعل له ربي أمداً أي غاية وبعداً، وذلك لأن علم الغيب لله وحده.
فلا يظهر أي:فلا يطلع على غيبه الذي يعلمه أحداً من الناس إلا من ارتضى من رسول لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بـ الغيب.
والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه.وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر) [1] اهـ.
وقال القرطبي - رحمه الله -: (أي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة
إلا الله، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفنيه الله) إلى أن قال: (قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم.
وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بـالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه) اهـ [1].
وقال ابن كثير - رحمه الله -: (يقول تعالى آمراً رسوله r أن يقول للناس إنه لا علم له

بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد) إلى أن قال في معنى قوله: إلا من ارتضى
من رسول : (وهذا يعم الرسول الملكي والبشري) اهـ [2].
ويؤيد ذلك قوله تعالى لنبيه r بعد أن قص عليه قصص آل عمران: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت لديهم إذ يختصمون [آل عمران:44].
وقوله سبحانه بعد أن قص عليه قصص نوح عليه السلام وقومه: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين [هود: 49].
قلت: فدلت آيات الكتاب على اختصاص الرب وحده بعلم الغيب وأن الذي علمه الرسل منه إنما علموه من إنباء الله، واستأثر الله بما شاء من العلوم فلم يطلع أحداً عليها، ومنها مفاتح الغيب الخمس و الروح وعلم ما في الصدور.
وجاءت السنة لتؤيد ما في القرآن، فمن ذلك:
حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله r قال: مفاتيح الغيب
خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة
إلا الله [1].
حديث أبي هريرة في مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي r وفيه قال: متى الساعة ؟
قال: ما المسؤل عنها بأعلم من السائل إلى أن قال: في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي r: إن الله عنده علم الساعة الآية [2].
ومن حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها لما قالت: إحدى الجويريات وهي تغني:(وفينا نبي يعلم ما في غد) قال لها النبي r: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين [3].

فصل: أقوال السلف في مسألة علم الغيب

ونختم الكلام عن هذه المسألة بعرض جملة من أقوال السلف في حكم من نسب علم الغيب إلى أحد من الخلق ولو كان النبي r ، مع كفاية الأدلة السابقة من نصوص الكتاب والسنة في بيان المطلوب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

1- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فقد صح عنها أنها قالت: (من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب) ثم قرأت:

وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) [1].

وفي لفظ: (من حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب) [2].

وذكر الحافظ أن الضمير في قولها (أنه) يعود إلى النبي r لوقوع التصريح به في بعض الطرق [3].

2- الإمام ابن القيم رحمه الله.

قال: (وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم، وهو يتشبع بما لم يعط، أن رسول الله r كان يعلم متى تقوم الساعة.قيل له: فقد قال في حديث جبريل:

ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، فحرفه عن موضعه وقال: معناه أنا وأنت نعلمها! وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف.و النبي r أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابيا: أنا وأنت نعلم الساعة.إلا أن يقول هذا الجاهل: إنه كان يعرف أنه جبريل. ورسول الله r هو الصادق في قوله: والذي نفسي بيده ما جاءني في صورة إلا عرفته، غير هذه الصورة [1].ثم قوله في الحديث: ما المسئول عنها بأعلم من السائل يعم كل سائل ومسئول.ولكن هؤلاء الغلاة عندهم: أن علم رسول الله r منطبق على علم الله سواء بسواء، فكل ما يعلمه الله يعلمه رسول الله r .

والله تعالى يقول: وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم .وهذا في "براءة" وهي من أواخر ما نزل من القرآن، وهذا والمنافقون جيرانه في المدينة.

ومن هذا حديث عقد عائشة رضي الله عنها لما أرسل في طلبه

فأثاروا الجمل فوجدوه [2].
ومن هذا حديث تلقيح النخل، وقال: ما أرى لو تركتموه يضره شيء فتركوه فجاء شَيْصاً، فقال: أنتم أعلم بدنياكم [3].
وقد قال تعالى: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب .
وقال: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير .
ولما جرى لأم المؤمنين عائشة ما جرى ورماها أهل الإفك بما رموها به، لم يكن r يعلم حقيقة الأمر حتى جاءه الوحي من الله ببراءتها.
وعند هؤلاء الغلاة: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم الحال على حقيقته بلا ريبة،
واستشار الناس في فراقها ودعا الجارية فسألها، وهو يعلم الحال، وقال لها: إن كنت
ألممت بذنب فاستغفري الله [1] وهو يعلم علماً يقيناً أنها لم تلم بذنب!
ولا ريب أن الحامل لهؤلاء على هذا الغلو إنما هو اعتقادهم أنه يكفر عنهم سئاتهم ويدخلهم الجنة، وكلما غلوا وزادوا غلواً فيه كانوا أقرب إليه وأخص به!
فهم أعصى الناس لأمره، وأشدهم مخالفة لسنته.وهؤلاء فيهم شبه ظاهر من النصارى الذين غلوا في المسيح أعظم الغلو، وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة " اهـ [2].
* الحافظ ابن كثير رحمه الله:
أطال في تفسير قوله تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي فقال: (أمر تعالى رسوله r إذا سُئل عن وقت الساعة أن يَرُدّ علمها إلى الله تعالى فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد،لا يعلم ذلك إ لا هو تعالى.
ثقلت في السموات والأرض قال قتادة: ثقل علمها على أهل السموات والأرض أنهم
لا يعلمون. وقال السدي: خفيت في السموات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل).
ثم ذكر الحافظ ابن كثير شواهد هذه الآية من الحديث على عدم

اطلاع أحد من الخلق على علم الساعة وحجبها حتى أولي العزم من الرسل عليهم السلام، ثم قال: (فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه، نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما:
بعثت أنا والساعة كهاتين   وقرن بين أصبعه السبابة
والتي تليها [1]، ومع هذا كله قد أمره الله أن يَرُدّ علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال:
قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون   انتهى باختصار[2].

* الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: وله أيضاً أقوال كثيرة في مواضع متفرقة من سفره العظيم "فتح الباري" الذي أودعه كنوزاً من العلوم الشرعية لا تكاد تجدها مجتمعة
إلا فيه.

يقول - رحمه الله - في شرحه لقصة الخضر مع موسى عليهما السلام حين سأله الخضر (أنى بأرضك السلام) ؟ (وفيه دليل على أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب
إلا ما علمهم الله، إذ لو كان الخضر يعلم كل غيب لعرف موسى قبل أن يسأله) اهـ[3].

وفي شرحه لحديث الربيع بنت معوذ الذي جاء فيه قول القائلة (وفينا نبي يعلم ما في غد) قال الحافظ: (وإنما أنكر عليها ما ذكر من الإطراء حيث أطلق علم الغيب له، وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تعالى: قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله .

وقوله لنبيه: قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وسائر ما كان النبي r يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه لا أنه

يستقل بعلم ذلك، كما قال تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من
رسول) اهـ [1].

وعند شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: (من حدثك أنه يعلم

الغيب فقد كذب) ذكر الحافظ - رحمه الله - قول الداودي: (وما أحد يدعي أن رسول الله r كان يعلم من الغيب إلا ما علم) فتعقبه بقوله: (وما ادعاه من النفي متعقب فإن بعض من لم يرسخ في الإ يمان كان يظن ذلك حتى كان يرى صحة النبوة تستلزم اطلاع النبيr على جميع المغيبات كما وقع في المغازي لابن إسحاق أن ناقة النبي r ضلت، فقال زيد بن اللصت: يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فقال النبي r : إن رجلا ً يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا
قد حبستها شجرة فذهبوا فجاءوه بها.

فأعلم النبي r أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ا لآية) اهـ[2].

* الإمام الشوكاني رحمه الله:

وله أيضاً كلام نفيس في مسألة علم الغيب ذكره في مواضع متفرقة من تفسيره "فتح القدير" صرح بالمذهب الحق ورد على الغ لاة المخالفين ومنها قوله عند تفسير قول الله تعالى: قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير الآية.

قال: (قوله: قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله هذه الجملة متضمنة لتأكيد ما تقدم من عدم علمه بالساعة أيان تكون ومتى تقع، لأنه إذا كان لا يقدر على جلب نفع له أو دفع ضر عنه إلا م شاء الله سبحانه من النفع له والدفع عنه، فبالأولى أن لا يقدر على علم ما أستأثر الله بعلمه، وفي هذا إظهار العبودية والإ قرار بالعجز عن الأمور التي ليست من شأن العبيد، والاعتراف بـ الضعف عن انتحال ما ليس له r ما فيه أعظم زاجر وابلغ واعظ لمن يدعي لنفسه ما ليس من شأنها، وينتحل علم الغيب بالنجامة أو الرمل أو الطرق بالحصى أو الزجر، ثم أكد هذا وقرره بقوله: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير أي لو كنت أعلم جنس الغيب لتعرضت لما فيه الخير فجلبته إلى نفسي وتوقيت ما فيه السوء حتى لا أدي غير ذلك وأتكلف علمه) اهـ[1].

قلت: ولهؤلاء ولغيرهم من أهل العلم من السلف ومن سار على نهجهم من الخلف كلام كثير مسطر في كتب التفسير وشروح

الحديث وغيرها معلومة مظانها وكلهم متفقون على مثل ما نقلت عن هؤلاء، ولم يخالفهم إلا من سفه نفسه من أمثال هذا المخالف وغيره من دعاة السوء، هداهم الله وأصلحهم وكفى الناس شرهم وبدعتهم.

6- ومن الخصائص المزعومة قول المخالف عن النبي r :(إنه كان يسمع حفيف أجنحة جبريل وهو بعد في سدرة المنتهى ويشم رائحته إذا توجه إليه)[2].

وقوله أيضاً:

يا من نناديه فيسمعنا   بعد المسافة سمع أقرب أقرب [1]

قلت: ويكفي في الجواب عن هذا الهراء، أن يقال لصاحبه: من أين لك أيها المفتري أنه r كان يسمع حفيف أجنحة جبريل ويشم رائحته من سدرة المنتهى؟

- وسنضرب صفحاً عن تلك الصفة الغريبة، صفة الشم، فهي ليست محل تفاضل وتمدح بين المتنافسين في الرفعة والشرف من بني آدم، بل الإطراء فيها قد يخرجها من المدح إلى الذم كما هو معلوم لمن أدنى مسكة عقل وفهم.

- أما صفة السمع فالغرض من تلك الفرية الشنعاء معروف، وهو تشبيه سمع المخلوق بالخالق الذي وسع سمعه السموات والأرض.

ويؤكد هذا قول المخالف: (يا من نناديه فيسمعنا على، بعد المسافة سمع أقرب أقرب) وهذه الصفة لا تليق إلا بالله وحده لا شريك له، فهو سبحانه الذي وسع سمعه الأصوات، سواء في ذلك القريب الداني والبعيد النائي.

قال تعالى: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار [الرعد:11].

وقال: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير [المجادلة:1].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأ صوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي r تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل:

 قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية).

وفي لفظ: (تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبه ويخفى عليّ

بعضه..)[1].
وقال سبحانه: قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب [سبأ:50].
قال ابن كثير: (وقوله تعالى: إنه سميع قريب أي سميع لأقوال عباده قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه) اهـ[2].
قلت: فهاتان الصفتان العظيمتان: السمع والقرب، من صفات الرحمن التي تليق بجلاله وعظمته لا يشبههما شيء من صفات المخلوقين القاصرة، وقد جاء ذكرهما في نصوص الوحيين مقترنتين كما في هذه الآية، وكما في وقوله r لأصحابه لما سمعهم يرفعون أصواتهم بالتكبير: أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم [3].
وجاءت صفة القرب مفردة كما في قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان [البقرة:186].
وقال سبحانه: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [ق:16].
فهو سبحانه قريب من عباده أقرب إليهم من كل قريب، مع علوه فوق عرشه ومباينته لخلقه.
إذاً فقول المخالف عن عبد من عباد الله إنه يسمع نداء من يناديه سمع أقرب أقرب يقتضي مساوته مع الخالق في صفتي السمع و القرب، بل فيه تفضيل المخلوق على الخالق كما تدل عليه صيغة التفضيل (أقرب أقرب) إذ إن معناها المتبادر من هذا الإطلاق: أنه r يسمع سمع أقرب مَن هو أقرب، فهو إذاً أقرب من الله سبحانه الذي وصف نفسه بأنه قريب وأنه أقرب من حبل الوريد، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.
وهذا مع كونه شركاً في صفتي الرب، السمع والقرب، فهو معارض لدلالات الشرع والعقل التي تقضي ببشرية الرسول r ، وتنفي عنه مثل هذه المبالغات، ولكن ما وردت به النصوص من دلائل النبوة المعجزات.
فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أُبي يقول:
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن

رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر - فذكره للنبي r فدعاني فحدثته فارسل رسول الله r إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا.فكذبني رسول الله r وصدقه) إلى أن قال: (فأنزل الله تعالى: إذا جاءك المنافقون
فبعث إليّ النبي r فقرأ
فقال: إن الله قد صدقك يا زيد)[1].
قلت: أفمن كان يسمع حفيف أجنحة جبريل عليه السلام من سدرة المنتهى، أيغيب عنه سماع من كان أقرب من ذلك بكثير؟!
- وفي حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه في قصة نوم النبي r وأصحابه عن صلاة الفجر في بعض الأسفار، وفيه قال: (فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان النبي r إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه.فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس كبّر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي r) الحديث[2].
قلت: فإذا كان r لم يسمع تكبير عمر إلا بعد أن كرره ورفع صوته به، هذا وهو بجانبه، فكيف يسمع نداء من يناديه من أقاصي الأرض ونواحيها؟!
- وها هو جبريل عليه السلام يأتيه في صورة أعرابي ويسند ركبتيه إلى ركبتيه ويضع كفيه على فخذيه ويسأله ويتحدث إليه، ثم ينصرف من عنده ولم يعرفه النبي r إلا بعد انصرافه عنه.
قال الحافظ في "الفتح": (دلت الروايات التي ذكرناها على أن النبي r ما عرف أنه جبريل إلا في آخر الحال) اهـ[3].
قلت: فليت شعري أين حاسة الشم المزعومة، وأين سماع حفيف أجنحة جبريل من سدرة المنتهى؟!
وفي قصة قدوم وفد بني تميم إلى النبي r وإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بتأمير بعضهم واختلافهما فأنزل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية وقوله: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية.
قال ابن الزبير: (فكان عمر بعد، إذا حدث النبي r بحديث حدثه كأخي السرار
لم يسمعه حتى يستفهمه)[1].
قال الحافظ: (أي يخفض صوته ويبالغ حتى يحتاج إلى

استفهامه عن بعض كلامه) اهـ[2].
قلت: وهذا صريح أيضاً في الدلالة على أنه r لم يؤت ذلك السمع المزعوم الذي يسع الأصوات ويجتاز المسافات حتى يبلغ سدرة المنتهى.
7- وقال المخالف في مدح النبي r:
(بنور رسول الله أشرقت الدنا ففي نوره كل يجيء ويذهب)[3].
وقال أيضاً:
(أنت سر الله والنور الذي سار موسى نحوه في طور سين
فهو نور لا يسامى إنه قبس من نور رب العالمين
كيف لا والسيد الهادي به يغمر الدنيا بنور مستبين)[1]
قلت: وهذه منازعة للرب في صفة من صفاته، صفة النور، التي وصف بها نفسه ووصفه بها عبده ونبيه محمد r، كما أن فيه تكذيباً صريحاً لكلام الله عز وجل وكلام رسوله r.
فقد قال سبحانه في محكم التنزيل: اللّه نور السموات والأ رض.مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية [النور:35]، وقال: وأشرقت الأرض بنور ربها [الزمر:69].
والمخالف يقول: (بنور رسول اللّه أشرقت الدنا)!!
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي r كان إذا قام من الليل يتهجد قال: اللّهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض.. الحديث[2].
- وصح عنه r أنه قال في وصفه لربه عز وجل: حجابه النور - أو قال النار -
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه [3].
وعن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: سألت رسول اللّه r : هل رأيت ربك ؟ قال: نور أنّى أراه ؟ وفي لفظ: رأيت نوراً [4].
قال العلامة ابن القيم- رحمه اللّه -: (وقد فسر قوله تعالى: اللّه نور السموات والأرض بكونه منور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله.

فالأول كقوله تعالى: وأشرقت الأرض بنور ربها فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء.

ومنه قول النبي r في الدعاء المشهور: أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني، لا إله إلا أنت .

وفي الأثر الآخر: أعوذ بوجهك أو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات فأخبر r أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله، كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي معجم الطبراني والسنة له، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي وغيره، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه).

وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود.

والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها)[1].

* * *

فصل وذروا الذين يلحدون في أسمائه

لم يكف المخالف شركاً بالرب عز وجل في صفاته وأفعاله، حتى أضاف إليه شركاً أكبر وكفراً أعظم، فعمد إلى أسماء الله الحسنى، التي خص بها نفسه من دون خلقه واتصف بها وجعلها علماً لذاته المقدسة، فأشرك معه فيها بعض خلقه، ظلماً وزوراً.

- فمن أذكار السلام التي ابتدعها المخالف عند زيارة القبر النبوي، قوله: (السلام عليك
يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا باطن، السلام عليك يا ظاهر)[1].

- وغلا أكثر من ذلك، فذكر من الخصائص النبوية أنه r (سمي من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسماً)[2].

فأشرك النبي r مع الله في كل أسمائه الحسنى، إمعاناً في الكفر و الشرك والضلال وإنكاراً للمعلوم ضرورة من دين الإسلام.

قال الله في محكم التنزيل: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون [الأ

أعراف:180].
قال ابن جرير- رحمه الله -: (أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض.ثم يستعمل في معوج غير مستقيم، ولذلك قيل للحد القبر: لحد، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه)[3].
وذكر ابن جرير وغيره من المفسرين [1] أن إلحاد المشركين في أسماء الله كان بعدولهم بها عما هي عليه، فاشتقوا منها أسماء لآلهتهم كتسمتهم اللات من (الله) والعزى من (العزيز) ومناة من (المنان).
وذكر ابن القيم رحمه الله من أنواع الإلحاد في إسماء الله: أن يسمى الأصنام بها، كتسمية المشركين اللات من الإلهية والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً.قال: (وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة)[2].
قلت: فإذا كانت تسمية الأصنام والأوثان ببعض أسماء الله عز وجل، ولو كانت اسماً واحداً، يعد إلحاداً وكفراً وشركاً، فكيف بمن سمّى مخلوقاً بكل أسماء الله؟!
وإذا كان اشتقاق اسم من الأسماء الحسنى وإطلاقه على المعبود من دون الله، كاللات والعزى، يلحق فاعله بالمشركين ويصيره في عداد الملحدين المتوعدين بالعقاب، فكيف بمن أطلق نفس الأسماء ا لإلهية على المخلوق، فسماه الأول والآخر والظاهر والباطن، إلى أن أوصلها إلى السبعين؟
كيف وقد زادها إلى أن شملت كل الأسماء دون استثناء، فدخل فيها حتى الاسم الأعظم (الله)، الذي لم يعرف في تاريخ الشرك الطويل، أن أحداً اجترأ على هذا الاسم فتسمى به أو أطلقه على أحد الآلهة المزعومة من دون الله؟!
حقاً إنه لسفه أي سفه، وضلال أيما ضلال، أن يعتقد امروٌ مثل هذا الاعتقاد الموغل في
الفساد ثم يصيح مغتبطاً به على رؤس الأشهاد، أما خاف أن تشل يده وهي تسطر مثل هذا
الهراء ؟
سبحانك يا رب ما أحلمك، سبحانك يا رب ما أصبرك، سبحانك حيث كنت، لا إله إلا أنت.
وبعد، فقد كان بالإمكان مناقشة هذا التائه وتعقبه بالحجة و

المنطق والعقل، لو اقتصر إلحاده على بعض أسماء اللّه تعالى، لكنه لم يدع مجالا   ً للأخذ والرد، بعد أن صرح بمطابقة أسماء النبي **r** أسماء اللّه كلها، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وما قدروا اللّه حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون .

هو اللّه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم.هو اللّه الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان اللّه عما يشركون.
هو اللّه الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم .

هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

ذلكم اللّه ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون.كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات اللّه يجحدون .



الباب الثاني
الافتراء على الملائكة الكرام

وبعد، فهل اكتفى المخالف بكل الذي تقدم من كفر واضح جلي، وشرك فاضح صريح؟

كلا، بل أضاف إليه، أن رمى بالكفر والشرك والظلم أبعد الخلق عنه وعن كل معصية وإثم، ملائكة الرحمن الكرام.

ولم يقصر ظلمه وقذفه لهم على طائفة منهم، بل شملهم كلهم حتى جبريل الأمين عليه السلام.

*فمن الخصائص النبوية المختلقة، عدّ المخالف منها (ذكر الملائكة له في كل ساعة)[1].

*وقال[2]:

(لسناك حين بدا بآدم أقبلت رعياً لسيماك الملائك تسجد)

*وقال[3]:

(كلما لحت للملائك خروا في السموات سجداً وبكياً).

*ولما ذكر تلك الصيغة الشركية من صيغ السلام المبتدعة التي تقال عند القبر (السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا باطن السلام عليك يا ظاهر)، قال بعدها[4] : (ويقال: إن ذلك من تحية جبريل للنبي r)!.

قلت: وهذا غايةٌ في الظلم والإفك والبهتان، أن ينسب مثل هذا الكفر إلى البررة الكرام المطهرين من كل عيب المعصومين من كل معصية وذنب، كما شهد لهم بذلك الرب،

فقال عز وجل: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [التحريم:6].

ولا ينقضي العجب من جرأة هذا الأفاك وإقدامه على مثل هذا الكذب الواضح المكشوف، إذ من أين له أن من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام ذكر الملائكة له في كل ساعة؟ ومن أوحى إليه بهذه الفرية؟ وما نوع الذكر الذي كانوا يذكرون به النبي r؟

أهو التسبيح والتكبير والتحميد؟ أم هو ذكر آخر، لا من جنس الأذكار المعروفة؟

وهل هم مستمرون على هذه العبادة، أم إنها انقطعت بوفاة النبي r؟

ولعل قائلاً يقول: إنه يقصد الصلاة على النبي r ، كما في قوله

تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي ؟ [الأحزاب: 56].
أقول: إننا لو فرضنا جدلا ً أن ذلك قصده، فهو مخطئ بكل اعتبار:
الأول: أنه لم يفصح عن قصده ولم يبين مراده من كلامه، والمقام يقتضي الإفصاح لا الإبهام، والإيضاح لا الإيهام، خاصة ممن دأب على قول الشرك والكفر وصار ديدنه وهجيراه.
الثاني: أنه وقت بوقت لا دليل عليه، إذ جعله في كل ساعة، والآية القرآنية أطلقت الصلاة ولم تحددها بزمن.
الثالث: أن الصلاة على النبي r ليست ذكراً له، بل هي دعاء المصلي ربه أن يصلي على نبيه، فهي من جنس دعاء المؤمن لأخيه، وإنما خص النبي r بأن المشروع في حقه الصلاة والسلام، بخلاف سائر المؤمنين إذ يدعو بعضهم لبعض بخيري الدنيا والآخرة.
والدليل على أن الصلاة على النبي r دعاء، حديث زيد بن خارجة رضي الله عنه،
عن النبي r قال: صلوا علي فاجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم صل على محمد
وآل محمد رواه النسائي (3/ 49).
وجاء في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال:
ما شئت ، قال: قلت: الربع؟ قال:
ما شئت إلى أن قال: (قلت: أجعل لك صلاتي كلها..) الحديث رواه الترمذي
(636/4).
قال الإمام المنذري[1]: (قوله (أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي)؟ معناه: أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك) اهـ.
قلت: ومما يؤكد أن المخالف يقصد معنى آخر سوى الصلاة، ما تقدم من خصائصه المزعومة التي صرح فيها بمذهبه ومعتقده في الرسول r ومضاهاته بالله سبحانه في خصائص الألوهية و الربوبية.
ويؤكده أيضاً، قوله السابق عن الملائكة الكرام وعن جبريل عليه السلام، فليس الذكر بأعظم من السجود والإلحاد في الأسماء الحسنى.

وقد تضمن قول المخالف: (لسناك حين بدا بآدم أقبلت، رعياً لسيماك الملائك تسجد) جملة من المخالفات:

منها: أن فيه تكذيباً لصريح القرآن، إذ تواترت الآيات على ذكر خبر سجود الملائكة لآدم وأنه كان طاعة للخالق سبحانه إذ أمرهم بذلك السجود، كما في قوله تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين [البقرة:34]، وكقوله تعالى: إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين.فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.فسجد الملائكة كلهم أجمعون.إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين [ص:71-74].

وجاء في حديث الشفاعة الطويل أن الناس يقولون لآدم عليه السلام: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك [(1)].

فاتفقت نصوص القرآن والسنة على أن سجود الملائكة كان لآدم لا لغيره من البشر.

وعارض المخالف تلك الأخبار كلها وكذب كلام الله تعالى وكلام رسوله r ، وزعم أن السجود كان من أجل سناه r .

قال تعالى: فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين [الزمر:32].

ومنها: أن فيه اعتراضاً على قدر الله وحكمه وأمره.

فقد قضى الله عز وجل أن يكون سجود ملائكته لآدم دون غيره، وأمرهم بذلك فأطاعوا له وأذعنوا كلهم أجمعون، إلا إبليس اللعين أبى واستكبر وقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين [ص:76].

واعترض المخالف على قدر الله وعارض حكمه وأنكر استحقاق آدم عليه السلام لسجود الملائكة، وقال: بل محمد r أولى بالسجود منه.

فتأمل - رحمك الله - ذلك التشابه بين الشيطانين في الكفر والاستكبار عن أمر الواحد القهار!

ومنها: أن فيه اتهاماً مبيناً وبهتاناً عظيماً لعباد الله المكرمين، إذ زعم أنهم قابلوا أمر الله عز وجل بالعصيان والاحتيال، أمروا بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام.وحاشا لله أن يفعلوا ذلك، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما

يؤمرون .
*وأما قول المخالف (كلما لحت للملائك خروا، في السموات سجداً وبكياً).فهو أعظم في الإفك وأبلغ في الظلم والافتراء، إذ قذفهم بأعظم الذنوب وأكبرها عند الله وعند رسولهr وعند المؤمنين وعند الملائكة المكرمين.
ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً [النساء:112].
وحسبنا في الرد على هذه الفرية النكراء أن نسأل هذا الأفاك، من أين له ذلك السجود المزعوم؟
أمن وحي السنة والقرآن؟ أم من قرائح الهذيان وأوهام الأذهان؟ أم هو من وحي الكهان؟ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء [الأنعام:93].
ثم من تُراه أمر بذلك السجود؟ آلله؟ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله
ما لا تعلمون [الأعراف:28].
أم فعلته الملائكة من غير أمر ولا إذن؟ كلا بل عباد مكرمون.لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء:26،27]، قال ابن كثير - رحمه الله -[1]: (أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم بل يبادرون إلى فعله).
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r لجبريل عليه السلام:
ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: وما نتنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً [2].
قال الحافظ ابن حجر[3]: (الأمر في هذه الآية معناه الإذن بدليل سبب النزول المذكور).
قلت: فإذا كانوا لا يجترئون على زيارة النبيr، مجرد زيارة، إلا بإذن من الله جل وعلا، فما بالك بالسجود والخضوع والتعظيم و البكاء الذي لم يؤذن لهم فيه البتة ولا ينبغي إلا للواحد الأحد سبحانه وتعالى؟!
* تكميل: قول المخالف: (كلما لحت للملائك خروا في السموات سجداً وبكياً) يعني به ليلة المعراج عندما اجتاز النبي r السموات السبع، وهو مع ما فيه من الظلم والبغي والعدوان، ففيه أيضاً

تكذيب صريح لما أخبر به النبيr في الحديث الصحيح، فقد أخرج الشيخان من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبيr أنه قال، في حديثه عن الإسراء والمعراج: فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال من هذا؟ قال هذا جبريل، قال هل معك من أحد؟ قال: نعم معي محمد r ، فقال أوَ أرسل إليه؟ قال: نعم.فلما فتح علونا السماء الدنيا.. الحديث.[1] وجاء في حديث م الك بن صعصعة رضي الله عنه، قوله: فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال: جبريل.قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم.قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء   إلى أن قال: فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل.قيل: من معك؟ قال: محمد.قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء.. الحديث [2] وذكر مثل ذلك في بقية السموات.

فإن قيل: كيف تعدون سجود الملائكة للنبي r شركاً، وهم قد سجدوا لآدم عليه السلام؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن سجود الملائكة لآدم كان طاعة لله وعبادة له، وهو تشريف وتكريم لآدم عليه السلام.

قال ابن جرير[3]: (كان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله ، لا عبادة لآدم) ثم روى بإسناده عن قتادة أنه قال: (فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: (أما السجود فشريعة من الشرائع، إذ أمرنا الله تعالى أن نسجد له،ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير طاعة لله عز وجل.

فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم، وسجود أخوة يوسف له تحية وسلام) اهـ .

قلت: ومما يدل على أن سجود الملائكة لآدم تكريم له، احتجاج إبليس اللعين على ربه حين امتنع عن السجود، فقال: أأسجد لمن خلقت طيناً.قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ً [الإسراء:61-62].

فإذا تقرر أن السجود لآدم كان تكريماً له لا غير، وأنه كان بأمر الله

وإذنه، فقياس غيره عليه شرك في التشريع كما هو ظاهر، وبمثل هذا القياس الفاسد كان ضلال أكثر الأمم.
قال الله عز وجل: أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله [الشورى:21].
فمن جوز سجود الملائكة لغير آدم من البشر قياساً عليه، فقد نصب نفسه مشرعاً مع الله سبحانه، وهذا هو عين الشرك والكفر و الضلال.
ويمكن على هذا القياس أن يقول قائل: أمر الله بالطواف بالبيت الحرام، والحج إليه، فيقاس عليه الأحجار والأشجار والقبور ونحوها مما يعظمه الناس، فيحج إليها ويطاف بها كذلك.
ويقال أيضاً: شرع الله النسك في الحج والأعياد والميلاد، فيقاس عليه النحر والعقر للمعظمين من الطواغيت.
ولو استطردنا في ذكر القياسات الفاسدة التي تتحصل من وراء ذلك القول الباطل لأفضى
بنا إلى التطويل والإملال.
وحسبك أن تعلم أن هذا هو بعينه قياس المشركين الأولين، عباد يغوث ويعوق ونسر، وبمثله حرّموا وأحلوا ما شاءوا بأهوائهم، إذ قالوا: ما ذبح الله وقتل خير مما ذبحتم وقتلتم، فأحلوا الميتة بهذا القياس الفاسد.
قال الله تعالى: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون [الأنعام:121].
الوجه الثاني: أن هذا المخالف لم يقتصر في زعمه على السجود المجرد بل قرنه بالبكاء،
وهو قرينة بينة على أن قصده بذلك ما هو أعلى من مجرد التشريف والتكريم أو التحية،
وهو السجود الآخر الذي هو عبادة محضة ولا ينبغي إلا لله وحده.
وقد عصم الله عز وجل ملائكته الكرام من أن يشركوا به أحداً من خلقه بأي نوع من أنواع الشرك، بل هم معصومون من مطلق العصيان، فلا تجوز عليهم المحقّرات فضلا ً عن الموبقات، ولا يصدر عنهم حتى الصغائر فكيف بأكبر الكبائر؟
* وكذا قول المخالف: إن من تحية جبريل للنبي : (السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا باطن السلام عليك يا

ظاهر)، هو كسابقه، في الإفك والافتراء على المكرمين من أهل السماء، وحاشا جبريل الأمين عليه السلام من اقتراف مثل هذا الكفر والإلحاد في الأسماء.

وهذه نصوص السنة بين أيدينا، ليس فيها نص واحد صحيح ولا ضعيف ولا حتى موضوع، يذكر خطاب جبريل عليه السلام للنبي r بمثل هذا القول المختلق ولو مرة واحدة.

وأكثر خطابه له ومناداته إياه كان (يا محمد) وربما قال (يا رسول الله)، أما أن يقول له

(يا أول..يا آخر..يا باطن..يا ظاهر..) فلا ولله، ما كفر جبريل ولكن الشياطين كفروا.

ولك أن تسأل، لم اختص جبريل عليه السلام من دون الملائكة بمثل هذا الظلم والعدوان؟ ألأنه ينزل بالعذاب، كما تعللت يهود في كفرها بالرسول r وقالوا: لو كان الذي ينزل عليك غيره لآمنا بك، فأنزل الله تعالى: قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين.من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين [البقرة:97-98].

وسواء كان ذلك السبب أم غيره، فقد تشابه الفريقان في خصومتهم وعداوتهم لجبريل عليه السلام، بل عداوة المخالف أشد وظلمه له أعظم لنسبته إياه إلى الإلحاد والشرك.



الباب الثالث
نقض أركان الإيمان

1- الإيمان بالله.
2- الإيمان بالملائكة.
3- الإيمان بالكتاب.
4- الإيمان بالرسول.

كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

تقدم أن المخالف قد نقض أعظم أسس الإيمان وأول أركانه، وهو الإيمان بالله، إذ أشرك به سبحانه في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهل اكتفى بهدم ذلك الركن الأعظم؟
كلا، بل نقض غيره من أركان الإيمان، وهاك البيان:

1- فالإيمان بالملائكة، يقتضي الإيمان بأنهم خلق لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون، وأن لهم أعمالاً ووظائف كلفوا بها هم لها عاملون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

فكفر المخالف بذلك وزعم أنهم عصاة ماردون، إذ أمروا بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا لمحمد r ، كلهم أجمعون.

وزعم أنهم عبدوا الرسول إذ كانوا يخرون له سجداً يبكون، وكانوا يذكرونه من دون الله في كل ساعة.

ثم زعم أن جبريل عليه السلام أشرك في بعض أسماء الله تعالى، إذ كان من تحيته للنبيr: (السلام عليك يا أول السلام على يا آخر السلام عليك يا باطن السلام عليك يا ظاهر).

2- والإيمان بالقرآن، وهو الإيمان بأنه كلام الله ووحيه المنزل على عبده ورسوله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه القول الفصل ليس بالهزل، خبره صدق وحكمه عدل.فكفر المخالف بذلك كله، فكذب خبره صدق ونقض حكمه، وحرف الكلم عن مواضعه وعكس دلالاته.

فسور القرآن كلها من "الفاتحة" إلى "الناس" تقرر مسائل الإيمان و التوحيد، والمخالف نقضها من أسها، بالتكذيب تارة والتحريف تارة أخرى.

* جاء في سورة "الفاتحة" قول الله تعالى: الحمد لله رب العالمين وفي "الأنعام": قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء

وفي "مريم" رب السموات والأرض وما بينهما وفي "الناس" قل أعوذ برب الناس إلى غير ذلك من الآيات والسور التي دلت على توحيد الخالق جل وعلا في ربوبيته.
فكذب المخالف قول الله في كتابه وزعم أن المخلوق هو (رب الحور، رب الجمال، غياث الخلق، غوث من في الخافقين، ذو الفضل والجود والإحسان في البر والبحر، معنى الوجود، منبع الكرم و الجود، رأس الأمر وساسه..).
*وجاء في سورة "الفاتحة" قول الحق سبحانه: الرحمن الرحيم وفي "الأعراف":
ورحمتي وسعت كل شيء وفي "الأنعام": وربك الغني ذو الرحمة وفي "فاطر" ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .
فنقض المخالف قول الله وزعم أن أصل كل رحمة تصعد أو تنزل مما يخص ويشمل، هو رسول الله r .
*وجاء في سورة "الفاتحة" قول الله عز وجل: إياك نعبد وإياك نستعين وفي سورة "النساء" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وفي"الزمر" بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .
فكفر المخالف بذلك كله وقال: (توجّه رسول الله في كل حاجة لنا ومهم في المعاش وفي القلب).
وقال: (يا سيدي إني رجوتك)، (فأقل عثار عُبيدك)، (واقمع باغضيه بحولك..).
وقال: (يا رسول الله عجل سيدي بزوال البؤس..) (عجل بإذهاب الذي أشتكي) (لك وجهت وجهي) (يا منتهى أملي وغاية مطلبي) (نقبل الترب إجلالا ً لساكنه) (فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات)..
*وجاء في سورة "النور" قول الله تعالى: الله نور السموات والأرض وفي سورة "الزمر" وأشرقت الأرض بنور ربها .
فنقض المخالف قول الله بقوله: (بنور رسول الله أشرقت الدنا، ففي نوره كل يجيء ويذهب).
وقوله: (أنت سر الله والنور الذي، سار موسى نحوه في طور سين).
4- ثم الإيمان بالرسول: يقتضي محبته وطاعته واتباع سنته و

التحاكم إليها وتقديمها على
ما سواها من الأحكام والمذاهب والآراء.
أ- ولا يتم هذا الإيمان إلا بالتأدب بكل الآداب التي ذكرها الله في القرآن، ورأس الأدب مع
الرسول r : كمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول و التصديق، وأن لا يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم مهما علت مقاماتهم، ولا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يعرض قوله وحكمه على قول شيخه وإمامه ومذهبه فإن وافقه قبله وإن خالفه حرفه وأوله والتمس له ألف مخرج.
*ومن الأدب معه r أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن و لا تصرف حتى يأمره هو وينهى ويأذن، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وهذا باق إلى يوم القيامة لم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته.
*ومن الأدب معه، أن لا ترفع الأصوات فوق صوته فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟
أترى ذلك موجباً لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.
*والكلام على الآداب المفروضة على الأمة تجاه رسول الله r مما لا يسعه هذا الموضع لجلالته وعظيم نفعه، إذ هو الدين كله، فمن أين للخلق أن يعرفوا ربهم وأن يعبدوه ويتقربوا إليه بمحابه ويتجنبوا سخطه وغضبه إلا عن طريق الرسول r ؟
ب – ومن مقتضيات الإيمان بالرسول الشهادة له بالرسالة والرضا به عبداً لله ورسولا ً والإيمان بصفاته التي وصف بها في الوحي دون إفراط فيه إلى حد الغلو كما صنعت النصارى مع المسيح، ولا تفريط في حقه إلى حد التنقيص من قدره أو إيذائه كما فعلت بنو إسرائيل مع أنبيائهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون.
وقد لخص أهل العلم معنى شهادة أن محمداً رسول الله في ثلاث كلمات: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيا أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر.
فما حظ المخالف من هذا الإيمان ومن هذه الشهادة؟!

* أما أخبار الرسول r فقد قابلها بالتكذيب والتحريف واللي والإ عراض.

*قال رسول الله r : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، وقال لجبريل عليه السلام لما سأله عن الساعة: ما المسئول عنها بأعلم من السائل متفق عليه[1].

فكذب المخالف قوله وزعم أنه r يعلم مفاتح الغيب الخمس ومنها علم الساعة.

*وقال r : إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس [2].

وقال أيضاً: إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له [3].

وزعم المخالف أن النبي r يعلم عزائم القلوب وخطراتها ونياتها.

*وقال r مخاطباً حبة قلبه وفلذة كبده فاطمة رضي الله عنها: سليني من مالي
ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً [4].

وقال: والله إني لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي [5].

فكذب المخالف قوله وزعم أن بيد النبي r مقاليد الأمور، فله أن يُقْطِعَ أرض الجنة لمن شاء وأن يرحم ويغفر ويتوب على من شاء، وأن يشفع لمن شاء، وزعم أنه r دعا الله أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار فأعطي ذلك [1]، وكذا أصهاره[2].

وغلا أكثر فزعم أن أهل البيت لا يجوز عليهم الخطأ أصلا ً، موافقة لغلاة الشيعة في اعتقادهم العصمة لأهل البيت[3].

*وأخبر النبي r عن حال أبويه عبدالله وآمنة، فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي [4].

قال الإمام النووي- رحمه الله -[5]: (فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة وفيه النهي عن الاستغفار للكفار) انتهى ملخصاً.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا ً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار . فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار [6].

قال الإمام النووي - رحمه الله -[7]:
(فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين.وفيه أن من مات في الفترة

على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار،
وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ
الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء
صلوات الله تعالى وسلامه عليهم) اهـ.

فضاق صدر المخالف بهذين الخبرين الصادقين عن المعصوم،
وسلط عليهما سهام التكذيب والتبديل للطعن في دلالتهما على
المطلوب.

أما التكذيب فقوله "الذخائر" (ص37): (إن تلك الأحاديث - يعني
هذين الخبرين-
لم ترتفع عن درجة الآحاد).

قلت: فهذا هو التكذيب بعينه وإن سمي بغير اسمه، أو لبس
بلباس من غير جنسه،
وهو مسلك ممقوت دأب عليه المخالفون في الكتاب المختلفون في
الكتاب، حيث يحكمون أهواءهم وعقولهم القاصرة في نصوص
السنة والكتاب فما وافقها قبلوه وجعلوه حجة قطعية، وما خالفها
ردوه وجعلوه دلالة ظنية، وبذلك المسلك الفج طعنوا في نصوص
كثيرة محكمة بحجة أنها أخبار آحاد، لا تفيد- بزعمهم - إلا الظن.

* وأما التبديل فبدعوى النسخ، حيث زعم أن الله أحيا له أبويه
فآمنا به [1].

وهذا الزعم مع كونه لا دليل عليه، فإن فيه عدة محاذير:

منها: أنه يقتضي أن الله تعالى حفظ لهذه الأمة الدليل المنسوخ
الذي يلزمهم أن يكفروا به ويطرحوه، وأنساهم الدليل الناسخ الذي
يجب عليهم أن يؤمنوا به ويعتقدوه.وفيه ما فيه من إساءة الظن بـ
المولى عز وجل، ووصفه بما لا يليق أن يوصف به.تعالى الله عما
يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومنها: الطعن في حملة العلم من هذه الأمة الخيرة بدءاً بالصحابة
رضوان الله عليهم وانتهاء بالأئمة المصنفين إذ حفظوا لنا المنسوخ
وبلغوه، وضيعوا الناسخ وكتموه.

ثم هو مناقض لمذهبه الأول، إذ قرر هناك أنهما من أهل الفترة
وماتا على الفطرة [1]، ويقول هنا إنهما ماتا على الإيمان بعد أن
أحياهما الله له، فتناقضا وتساقطا.

وبسط هذه المسألة له موضع آخر، والمقصود بيان تكذيب

المخالف لأخبار النبي r .

*ومن أمثلة اعتراضه على حكم النبي r ومعارضته في أمره ونهيه ما يأتي:

قال النبي r : لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد [2].

وقال المخالف[3] : (فعليك الصلاة تبقى من الله كما شاء وتشاء).

*وقال النبي : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله .

وقال المخالف: (يا من يجود على الوجود بأنعم خضر) (يا من نناديه فيسمعنا على بعد المسافة سمع أقرب أقرب) (بنور رسول الله أشرقت الدنا ففي نوره كل يجيء ويذهب) (رب الجمال، رب الحور، باب الله، غياث الخلق، غوث من في الخافقين).

وقال فيه أيضاً: إنه أوتي علم الخمس والروح، وأنه يعلم الخطرات والنيات، وأنه سمي بأسماء الله الحسنى كلها ومنها الأول والآخر والباطن والظاهر، وأن قبره أفضل من السموات السبع و العرش وجنة عدن، وأن له أن يقطع أرض الجنة لمن شاء، وأن الله خلق الخلق لأجله، وأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر[1].قال: (ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة..)، وأن سمعه يصل إلى سدرة المنتهى.

* * *

الخاتمة

وبعد، فها أنت أخي الكريم قد وقفت على بعض أقوال المخالف في كتابين فقط من كتبه، واطلعت على ما فيهما من كفر صريح وشرك واضح ومناقضة لأصول الإيمان وأركان الإسلام.

وأحسب أن الدهشة قد علت محياك وعقدت لسانك من تلك الجرأة العجيبة على الله وملائكته وكتابه ورسوله r.

ولعلك تساءلت في نفسك بعد إمعان النظر في ذلك الكم الهائل من المخالفات الشرعية الواضحة وضوح الشمس، وقلت: كيف خفي على الدكتور مثل هذه الأمور فوقع فيما
لا ينبغي لأحد أن يقع فيه؟

وحق لك أن تندهش وتعجب، فالذي قاله وقرره ونقله وأقره ليس بالهين بل هو عند الله عز وجل وعند رسوله r وعند المؤمنين عظيم.

لكنك - أخي الفاضل - لو اطلعت على مذهب القوم ومشربهم، وتتبعت أحوالهم وسيرهم عبر القرون الغابرة، لزال عنك كثير مما نزل بك من الدهشة والعجب.

إذ سوف ترى أن ما كتبه هذا الدكتور المبتدع مما نقلته لك، ليس إلا نقطة من بحر متلاطم الموج، مما قاله أسلافه من غلاة المبتدعة وسطروه من أمثال الحلاج وابن الفارض وابن عربي المكي و العفيف التلمساني وأضرابهم من غلاة الصوفية الباطنية الذين صرحوا بما لا يخطر على قلب مسلم، مما تقشعر له الجلود من ساقط القول وفاحش الكلم.

ومن عجائب ما وقفت عليه من حالهم، أن الولاية عندهم، وهي المقام الأسمى الذي يفوق عندهم مقام النبوة، لا يصل إليها أحدهم إ لا إذا تمادى في الكفر وصرح به في الملأ حتى يحكم عليه طائفة من الأولياء بالزندقة والكفر.

قال الجنيد، ويسمونه سيد الطائفة[1]: (لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق) اهـ .

ولعلك وقفت الآن على سر المسألة، فالرجل يسعى حثيثاً إلى بلوغ ذلك المقام ووصول تلك المنزلة من الولاية والمعرفة عن طريق الكفر والزندقة، ويحلم باليوم الذي يقال له فيه: العارف ب الله، القطب، الغوث..ونحوها من الألقاب العلية عندهم، أما لفظ: الشيخ، السيد، الإمام، فلم تعد وافية بالمقام.

وعلى كل فالذي يهمنا نحن أن لا ينال أحد من مقام الألوهية و الربوبية، ولا من مقام النبوة والرسالة، وأن لا ينال من الإسلام و القرآن والسنة.

ولن نرضى أن تشاك شريعة الرسول r بشوكة وفينا عين تطرف.

ولن يهنأ لنا عيش ولن تطيب لنا حياة ونحن نرى أركان الإيمان تنقض ودعائم الإسلام تقوض.

إن الله عدل يحب العدل ويأمر بالقسط، وإن أعدل العدل توحيد الله بالعبادة، كل العبادة، وتوحيد الطريق إليه بالإسلام دون ما سواه ، وتوحيد الرسول بالطاعة والاتباع دون غيره من الناس، وهذه هي الأصول التي يبنى عليها الدين كله.

وإن من العدل الذي قام عليه الدين وصلح عليه أمر الدنيا والآ خرة أن لا يجتمع الكفر والإيمان، ولا الشرك والتوحيد، ولا الإثم و البر، ولا الجنة والنار.

وما يستوي الأعمى والبصير.ولا الظلمات ولا النور.ولا الظل ولا الحرور.وما يستوي الأحياء ولا الأموات.إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور (فاطر:19-22).

ومن العدل الذي أمر الله به أن نتبرأ من كل مخالف معاند بحسب مخالفته وعناده، بعد أن ندعوه إلى الحق ونقيم الحجة البالغة عليه.

وإني أنصح كل من يغضب للدكتور العلوي وتدعوه لموافقته وموا لاته والمنافحة عنه حمية مذهب أو عصبية مشرب أو مودة إلف وعادة ونسب، أن يفكروا في الأمر بروية وأن يقدموا حب الله وحب رسوله r على كل ما سواهما من محبوب، وأن يَدّبروا آيات الكتاب العزيز، كيف فرق العدل الحكم تبارك وتعالى بين نوح عليه السلام وابنه، بعد أن أصر على الكفر فقال له ربه: إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح [هود:46].

وكذا الحال مع إبراهيم عليه السلام وأبيه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم [التوبة:114].

وقد أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالتأسي بإبراهيم عليه السلام في تلك البراءة فقال:

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم

ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة و البغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده [الممتحنة:4].

ولو كان في الدين محاباة لكان أولى الناس بها ابن نوح وأبو إبراهيم وزوجة لوط وعم
النبي r.
ونصيحة أسديها إلى الدكتور أختم بها كلامي، أدعوه فيها إلى توبة نصوح عاجلة مما قاله وتكلم به وسطره بقلمه من كل ما يخالف شرع الله وسنة رسول الله r ولو عن غير قصد منه لذلك.
فإن استجاب وأناب فقد أفلح - والله - في العاجلة والآجلة، وإن أصر وعاند واستكبر فقد مضت سنة الأولين.
فأقول أيها الشيخ تذكر يوم العرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية .
واعتبر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر .
واعلم أنه لن ينفعك في ذلك الموقف العصيب جاه ولا منصب
يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه.وصاحبته وبنيه.لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه .
وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى .
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .
وأحذر من أن تكون ممن قال الله فيهم وليحملن أثقالهم وأثقالا ً مع أثقالهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون .
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم، ألا ساء
ما يزرون .
وبعد، فأسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يهدينا وإياه وسائر عباده سبيل الرشاد، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ً ويرزقنا اجتنابه، وأن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء وأن يجعل هوانا تبعاً لما جاء به الرسول r ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب: سمير بن خليل
المالكي

6/ 5/ 1417 هـ

* * *

الفهرس